المشرق

السنة الثلاثون — تشرين الثاني ١٩٣٢

الرهبانيَّة اللبنانيَّة المارونيَّة

صفحة تاريخية

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

١

توطئة

مئتان وثماني وثلاثون سنة مرَّت على تأسيس الرهبانية اللبنانية المارونية في الديار الشرقية كما يعبرُ الظلُّ وغاصت في بحار الابدية كما غاصت فيها السنون الغابرة، حاملةً في طيّ ردائها الحوادث والعِبَر بما فيها من شقاء وهناء.

عبرتْ تلك السنوات كما يعبُرُ الطير في فلك الهواء غير تاركٍ لمروره أثرًا. انها «مضتْ كالظلِّ وكالخبر السائر او كالسفينة الجارية على الماء المتموّج التي بعد مرورها لا تجدُ أثرَها ولا خطَّ حيزومها في الامواج. او كطائرٍ يطير

في الجوّ بقوادمه ويشقّ الهواء بشدّة سرعته وبرفرفة جناحيه ، يعبر ثمَّ لا تجد لمروره من علامة . او كسهم يُرمى الى الهدف فيُخرَق به الهواء ولوقته يعود الى حاله حتى لا يُعرَف ممَرّ السهم » (حكمة ٥ : ٩ — ١١)

كذا تزول الايامُ والليالي وينقضي عمرُ المرء بانقضائها ولا يبقى ثابتاً غير الله . قال داود النبيّ : « أيامي كظلٍ مائلٍ ، وقد يبستُ كالعُشب . وانت ، يا ربُّ ، ثابتٌ الى الأبد . . . في البدء أسّست الارض ، والسماوات هي صُنعُ يديك ، هي تزول وانت تبقى وكلُّها تَبلى كالثوب وتطويها كالرداء فتتغيَّرُ وانت انت وسنوك لن تفنى . » (مز ١٠١ : ١٢ — ١٣ و٢٦ — ٢٨)

قَطعَت الرهبانية المارونيـة مرحلة قرنين ونيِّف وهي لا تزال الى الأمام ، فأجدر بها ان تُلقي نظرةً عجلى على هاتيك السنوات التي طوتها والمسافات التي عبَرتها والحوادث والشؤون الجلّى التي مرَّت بها فداستها واجتازتها ثابتة اليقين ، بارزةً من معامعها طلقةَ المحيا وضّاحة الجبين .

قد يقفُ المسافر الذي جاز قسماً وافراً من الطريق تجديداً لقواه وانعاشاً لهمّته ونشاطه ، امّا الرهبانيَّة اللبنانيَّة فلا تقف بعد مسيرها مسافة قرنين لتستروح نسيم الراحة عقب جهادٍ مستمرّ ، بل تنشطُ في أمرها تشكرُ الله الذي شدَّد ضعفها وسَندها بذراعه القديرة طيلة هذه السنين ، ناشرةً أمجاد منشئيها وفضائل ابنائها وما عانوا من إرهاق وبذلوا من أعراق في سبيل إنمائها وتمزيزها وترقّيها في معارج الدين والدنيا من مهدها الى يومنا هـذا ، نائرةً على رفاتهم أطيب التحيّات ، ضارعةً الى ابي المراحم ان يُجزل ثوابهم بسعادته الخالدة ويغمرها بشفاعتهم بأغزر الخيور وأسنى البركات .

اطلَّ عام ١٩٣٢ الحالي الذي فيه تمَّ مرور قرنين كاملين على اثبات قانونها الرهبانيّ ، فنشط قدس رئيسها العام المقدام الآباتي العـلّامة المفضال مرتينوس طَربيه الى إحياء تذكارٍ جميل لهذا الحَدَث الخطير الاول من نوعه في الشرق ، فأنفذ رسالة عامة الى جميع ابنـاء الرهبانية — وكان قدسه السابق الى ابراز هذه الفكرة الى حيّز العمل — اتى فيها على لمعةٍ في تأسيسها ، وكيفية تثبيت قانونها ، وما قاسته من الاتعـاب في هذا السبيل ، مذكراً الرهبان بفضائل

جدودهم لينسجوا على منوالهم ويأتمّوا بامثال سيرتهم الصالحة، ومنبهاً خاطرهم الى وجوب استقبال هذا العيد المئوي الثاني الواقع في ٣١ اذار من هذه السنة بأبهى مظاهر التكريم وابلغ عواطف التقوى والفرح الروحي. وقد حثّهم على ان يضاعفوا الصلوات والعبادات لاجل مؤسسي الرهبانية والمحسنين اليها احياء وامواتاً، وان يقيموا الزينة الباهرة في اديارها ومعابدها إحتفاءً بهذا التذكار اللذيذ. وعندما مثّل الابُ العام امام قداسة الحبر الاعظم، البابا بيوس الحادي عشر المالك سعيداً، التمس منه غفراناً كاملاً لكل من يشترك بهذا الاحتفاء من رهبان وعاميّين، فتنازل قداسته الى اجابة سؤلهِ برقيم كريم يأتي ذكرهُ.

ورأينا بهذه المناسبة ان نكتب كلمةً موجزة في نشأة الرهبانية وعلاقاتها بالطائفة المارونية، وما أدّت لها وللدين وللوطن من الخِدَم والمآثر التي لا تبلى جدّتها ولا ينقضي على مرّ الايام ذكرُها، ننشرها على صفحات مجلة «المشرق» الزاهرة، ذكراً لعيد اثبات قانونها المئوي الثاني.

١

نشأة الرهبانية اللبنانية

الشرق جنّةٌ زاهية زاهرة نبتت في تربتها الخصبة الغراس الروحيّة النضرة تحمل ثمار الفضائل الطيّبة. فقد نشأ فيها هابيل ونوح وابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف أحبّاء الرب والانبياء والصدّيقون والكهنة، الى ان جاء السيّدُ المسيح فزاد عظمة الشرق مجداً وفخاراً واكتمل به بدرهُ وسطعت في أرجائه انوارُ شمسه اذ وُلد وسكن فيه شعاعُ الآب وضياء مجدهِ.

في جنّة الشرق ازهرت طغمة الرسل، واينعت نصوبُ الشهداء والملافنة ومفسّري الكتُب وصانعي العجائب، وفيها قام المتبتّلون والمتنسّكون كرهبان القديس مارون يعلّمون ويرشدون الشعب بمثالهم وقولهم مرتفعين كأرز لبنان بسموّ فضائلهم وتعليمهم لا يأخذهم عياء: ولا ملل في الجهاد والدفاع عن المجامع المقدّسة، باذلين دماءهم حفاظاً على تعليم الكنيسة الرومانية وحثّاً

للشعب المجاور لهم التمسك بتعليمهم على الاتحاد الوثيق العرى بنائب السيد المسيح على الارض . وقد انتشر اباؤنا الابرار في الاديار اللبنانية كدير القديس مارون في كفرحي ودير سيدة يانوح وسيدة ميفوق وهابيل ودير القديس سمعان والياس واليشع والسيدة في قرية لحفد ودير كفيفان ومار جرجس الكفر ودير قنوبين وتزحيا واليشع في الوادي المقدّس وغيرها من الديورة في انحاء لبنان[1] .

غير انّ كلّ دير من هذه الاديار كان مستقلًا عن غيره برئيسه وعاداته وقوانينه . ولم يكن لرهبان هذه الديورة المارونية من رابطة تجمعهم تحت سلطة وادارة رئيس واحد يدير شؤونهم . فاحبّ الله ان يضمّ شتاتها ويسكها بقانون واحد وتدبير رئيس عام واحد ويعيش رهبانها عيشةً مشتركة ، فدعا بالهام الهيّ ثلاثة شبّانٍ من حاب الشهباء من اهل الصلاح والتقى ومن ذوي الجاه واليسار فيها وهم جبرائيل حوّا ، وعبد الله قراعلي ، ويوسف البتن ، لينشئوا رهبانيةً قانونية في جبل لبنان .

غادر هؤلاء الثلاثة وطنهم تلبيةً للدعوة الالهية . فالاول جاء في غرّة تشرين الاول ١٦٩٣ قاصدًا لبنان توًّا ، والآخران في ١٦٩٤ وقد عرّجا على فلسطين لزيارة الاماكن المقدسة ، ثمّ حضرا الى لبنان موطن العبادة والزهادة . واجتمعا برفيقها الثالث جبرائيل حوًّا ، ومثلوا بحضرة رأس المارونية الاكبر الحبر القدّيس ، البطريرك اسطفان الدويهي ، في بدء صيف ١٦٩٤ ، وكشفوا له عن عزمهم على انشاء رهبانية مرتبطة بقانون ورئيس عامٍ واحد تخضع لسلطانه جميع رهبان الديورة ، وان يكونوا مقيدين بنذر الطاعة والعفّة والفقر والتواضع ومنتسبين الى القديس انطونيوس ابي النسّاك . فاراد السيّد المغبوط امتحان عزمهم ليرى هل بوسعهم احتمال شظف الحياة الرهبانية في هذه الديار الشرقية ، فاوضح لهم صعوبة عيشة النسّاك على مَن كان مثلهم من أولي الرخاء والرفاهية مع ما يلحقها من كدّ البدن بحراثة الارض تحصيلًا للمعاش ، فضلًا عن الحروب

---

١) مقدّمة الرهباني على كتاب القانون

الناشبة في البلاد وتضعضع حبل الامن والراحة فيها ، مما يجعل التوطن في هذه الجبال على حالٍ من الطمأنينة متعذراً . فأعلنوا له ثباتهم في قصدهم واكلين أمرهم الى الله والى غبطته . وما زالوا يُلحفون في الطلب والتوسّل حتى فازوا بامنيتهم فامرهم البطريرك ان يقيموا في دير القديسة مورا الحَرب في اهدن قصدَ ان يرمّوه لما يُرجى بعماره من النفع الروحيّ والزمنيّ لاهل هذه البلدة . فانفق حوّا والبتن على تجديده وتأثيثه ستة آلاف وثمانمئة وثلاثين غرشاً[1] . وألبسهم الدويهي في اليوم العاشر من تشرين الثاني ١٦٩٥ الزيّ الرهباني في دير قنّوبين على سبيل الامتحان ، بدون ان ينذروا النذور الرهبانية . ورجعوا الى دير القديسة مورا عاقدين النيّة على تأليف قانون يقتطفونه من تعاليم القديس انطونيوس الكبير وتلاميذه وغيرهم من الزهّاد .

ولحق بهم في اواخر تلك السنة جبرائيل فرحات . وكان من عصبتهم ، بل زعيمهم . واقاموا الاب حوّاً رئيساً عليهم ، بعد ان سامه الدويهي قساً بحضور والديه سنة ١٦٩٥ . وشرعوا منذ ذاك بتأسيس الرهبانية وجمع قوانينها وذاع خبر فضائلهم وضاع عرفُ قداستهم فاقبل عليهم كثير من طلّاب الرهبانية ، فازداد عددهم في مدّة وجيزة ، وعُرفوا بغزارة الفضل وبالحزم والنشاط وجودة التدبير والمبالغة بالزهد .

وتسلّموا سنة ١٦٩٦ دير القديس اليشع النبي ، في سفح الوادي المقدّس ، فانتقل اليه في فصل الشتاء قسمٌ من الرهبان هرباً من شدّة البرد في اهدن ، وأناطوا تدبيرهم بالشمّاس يوسف البتن ، في غياب الرئيس الاب حوّا . ونزل الاب قراعلي الى زغرتا لتعليم احداثها مبادئ الديانة والقراءة .

وصعد في ربيع ١٦٩٧ الاب قراعلي والرهبان الى دير القديسة مورا ، وانتهوا هناك من وضع اثنين وعشرين باباً من القانون ، ولاسباب اختصروها الى خمسة عشر باباً ، وفرضوا بعض فرائض يطلبها النظام الرهباني . وقرّروا

---

١) مذكّرات الاب قراعلي ، المجلد الاول من تاريخ الرهبانية ، والاب البودي . (المشرق ١٩ [١٩٠٧] : ٦٢٩)

ان يُقام على الرهبانية رئيس عامّ واحد يتعلق به تدبيرها، مع اربعة مدبّرين يؤازرونه في مهامه، وان يُعيَّن لكلّ دير رئيس خاص يُعنى بادارته خاضع لسلطة الرئيس العام. وان تستمرّ هذه الرئاسات ثلاث سنين في نهايتها يُعقد مجمع عام في العاشر من تشرين الثاني، ذكرًا لهذا اليوم الذي توشّح فيه المؤسسون بالزيّ الرهباني، الى آخر ما وضعوا من الفرائض والانظمة.

وعُقد المجمع العام في العاشر من تشرين الثاني ١٦٩٨ في دير القديس اليشع، فانتُخب الاب حوّا رئيساً عاماً، والاب قراعلي مدبّرًا ورئيساً على الدير المذكور، والاب فرحات مدبّرًا ورئيساً على دير القديسة مورا. وكان هذا المجمع العام الاول في الرهبانية. واذ كان الرئيس العام الاب حوّا راغباً في جعل غاية الرهبانية الرسالة عارضه في رأيه الاب قراعلي واكثر الرهبان، موجبين التمسُّك بالفرائض التي سُنّت لها والركن الذي تأسست عليه وهو الانقطاع عن العالم والتحصُّن بالديورة. وكانت بينهم على ذاك منازعات هادئة لم يتعدَّ صداها جدران الاديار ولا محل هنا لذكرها، حتى تحقّقت اخيرًا امنية الاب عبد الله وسار برهبانيته على نظام التوحّد والانفراد، إلّا اذا دعت الحاجة الى الرسالة، صاعدًا بها في مراقي الكمال الرهباني كما يأتي الكلام.

ولما لم يتسوَّ هذا الخلاف بين الابوين حوّا وقراعلي، حكم البطريرك بفصل الواحد عن الآخر بصكّ ابرزه سنة ١٧٠٠، واعطى الاب حوّا دير القديسة مورا، والاب قراعلي دير القديس اليشع، وامر ان يُقسم الرزق بينهما مناصفةً. واطلق الحريّة للرهبان في اتباع مَن ارادوا من الاثنين، وان يأخذ كلُّ راهب حاجته من المؤنة والكساء. فتبع الاب حوّا واحد فقط من الرهبان وبعض المبتدئين. والتفَّ حول قراعلي كلُّ الباقين.

ولدى وقوع هذا الخصام استولى الضجر على الاب فرحات، وكان من فكر الاب حوّا إقصاؤهُ الى احد الاديار، في غياب قراعلي الى حلب لبعض الشؤون، ليتسنى له اطلاق يده في تدبير الرهبان على هواه. فانسحب الاب فرحات سنة ١٧٠٠ راغباً في الانضمام الى إحدى رهبانيات المرسلين. وتوطّن دير القديس يوسف في زغرتا يدرّس احداثها، ويعظ على منبر كنيستها ايام الآحاد والاعياد،

ويعيش من صدقات المؤمنين . وما درى الرهبان بخبره حتى اضطربت افكارهم وازداد بغضهم للاب حوّا ، لانهم عزوا اليه سبب انفصاله ، وقد عزّ عليهم فراقه لما له من المنزلة الرفيعة في عيونهم وعيون الاكابر والاصاغر ، وهو احد الرؤساء ، العالم الطائرة شهرة فصاحته وبراعته في اللغة العربية ، والدعامة القوية لركن الرهبانية في التقوى والعلم . ولما كانت آراء الاب حوّا لا تنطبق على ارائهم كما اشرنا اولاً ، وهالهم ثانياً بعد الاب فرحات عنهم ، تداولوا واوجبوا سنة ١٧٠٠ ، على غير علم الابوين حوا وقراعلي ، عقد المجمع العام قبل اوانه ورموا القرعة الاولى فاسفرت عن لزوم التمسّك بقانونهم . ثمّ الثانية فانجلت عن عزل الاب حوّا من الرئاسة العامّة واسنادها الى الاب قراعلي . فاستتبّ السلام بين الرهبان ، ونهض الاب العام الجديد الى سياسة الرهبانية بروح الغيرة والتجرُّد والاخلاص .

وما فتئ الاب قراعلي والرهبان عن مراسلة الاب فرحات والذهاب اليه داعينه الى العود اليهم بارقّ عبارات الحبّ والتودُّد ، وعن الصلاة لنوال هذه البغية ، حتى ادركوا ما تمنّوا . فاستقبلوه بأبهى مجالي الحفاوة . وشدّ ما كان فرحه وفرحهم بهذا الاجتماع اللذيذ بعد فراق خمس سنين برّحت بهم لوعته وتعاظمت في قلوبهم مرارته . وقد افضى اليهم الاب فرحات بخبيئة نفسه واطلعهم على تبلبل باله واضطراب ضميره مدّة افتراقه عنهم[1] .

١) رجع الى اخوانه سنة ١٧٠٥ وفيها نذر النذور الرهبانية .

(للبحث صلة)

ابن عبد ربه و « عقده »

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٢

حياة ابن عبد ربه (تابع)

ولكن اكان هناك سبيل للهو عند ابن عبد ربه غير الغناء ؟ وجوابنا : نعم ! ولعل بعض هذه السبل كانت من التي نهاه عنها قرآنه ، وقد احس في خروجه على شرائع دينه ، آخر حياته ، واخذ يستغفر ربه في شعره :

يا ربّ ، غفرانك عن مذنب أسرفَ ، الا انه نادمُ (١

ترى أكان يشرب الخمر ؟ المرجّح عندنا نعم ! ويتفرّد شعره في تصوير شيء من هذه الناحية من حياته اذ ليس بين كل المصادر التي بين ايدينا ، عدا شعره ، ما يذكر شيئاً عن شربه المسكر ، وفي شعره هذا تناقض من حيث هذا الامر سنحاول تعليله . ففي القصة التي ذكرنا عنه فيما يتعلق بالغناء الذي سمعه من جارية تغني بقصر احد الرؤساء ، ابيات منها هذا البيت :

اما النبيذ فاني لست أشربه ولست آتيك الا كسرتي بيدي (٢

وفيه كما يظهر تصريح انه لا يشرب النبيذ على الاطلاق . واذا تركنا هذا التصريح ونظرنا في شعره نرى مواضع كثيرة يذكر فيها حبه الخمر وشربه

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٢٧٦ ؛ والثعالبي ١ : ٤١٧ .
٢) ابن خاقان : ٥١ .

اياها ، ويصفها ويدعو الى شربها بحيث لا يظلّ ادنى شكّ في نفس القارئ ان ابن عبد ربه يشربها:

دع قول واشيةٍ وواشي واجعلها كلبيّ هراشِ
واشرب مشعشعة تسلسل في العظام وفي المحاشي
حتى ترى السود المسنّم جا ارقَّ من الخشاش(١

واسمع قوله ايضاً :

أصغى اليك بكأسه مصغي صلت الجبين ، معقرب الصدغ (٢

. . .

كاس تولد بالمحبة بيننا طورًا ، وتنزغ آيما نزغ .
في روضةٍ درجت بزهرها الصبا والشمس في درج من الفرغ ،
واشرب بكفّ اغنّ عقرب صدغه للقلب منك عيتة اللدغِ .

واسمع ايضاً وصفه للرّاح ودعوته الى شربها :

وحاملةٍ راحاً على راحة اليد موردة تسقى بلون مورّد ،
متى ما ترّ الابريق للكاس راكعاً تصلّ له من غير طهر وتسجد (٣
على ياسمين كاللجين ونرجس كاقراط درّ في قضيب زبرجد
بتلك وهذي فالهُ ليلك كله وعنها فسل،لا تسأل الناس عن غد(٤

واسمع قوله في وصف نشوته من خمرتين: خمرة اللحظ ، وخمرة الكاس :

بزمام الهوى امتّ اليه ، وبحكم العقار اقضي عليه ، (٥
بابي من زها عليّ بوجه كاد يدمى لما نظرت اليه !

---

١) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٨ ؛ والثعالبي ١ : ٤٢٢ ، ٤٢٤

٢) ابن عبد ربه ٣ : ٢٢٧ ؛ والثعالبي ١ : ٤٢٢ – هذا البيت والابيات التي تليه من البحر الكامل ، وقد اوردها ابن عبد ربه في عقده ، في كتاب العروض، شاهداً على العروض التامّ الذي له ضرب أحذّ مضمر [الحذذ يلحق مُتَفاعِلُنْ فتنتقل الى فَعِلُنْ اي يحذف منها (عِلُنْ) ويظلّ (مُتَفا) ثم تنتقل (مُتَفا) الى (فَعِلُنْ). والاضمار هو تسكين ثاني مُتَفاعِلُن فتصير مُتْفاعِلُن،واذا دخلها الحذذ المذكور تصير فَعْلُن] ويظهر من البيت الاول ان عروضه وضربه احذّان مضمران بينما العروض في سائر الابيات تامة .

٣) في الاصل : « ترى » و « تصلي » ، اي دون ان يكون لمتى عمل فيها .

٤) ابن عبد ربه ٣ : ١٩٦ .

٥) العُقار بضم العين الخمر لمعاقرتها اي لملازمتها الدنّ ، او لعقرها شاربها عن المشي ، او لانها عاقرت العقل ؛ راجع محيط المحيط : مادة « عقر » ,

ناول الكاس واستمال بلحظٍ فسقتني عيناه قبل يديه (١

وله ايضاً شعر في الزهد يذكّر فيه نفسه بقرب اجله ودنوّه من الهلاك ، ويلوم ذاته على لهوه في ادمان الخمر ، يستهلّه بقوله مخاطباً نفسه :

اتلهو بين باطيةٍ وزيرٍ ، وانت من الهلاك على شفير !(٢

واسمع اخيراً تصريحه في شرح مذهبه في كلا الشرب والغناء ، وهو آخر بيت من قطعة يصف فيها الحبيب والغناء والسكر :

ديننا في السماع دين مدينيّ م وفي شربنا الشراب عراقي (٣

اي انه يسمع الغناء على مذهب المدينيّين وطريقهم ، ويشرب الشراب على مذهب العراقيين . وكان المدينيون يجيزون الغناء ، بينما كان العراقيون يجيزون الشراب[٤] . وفي كتب الادب والتاريخ العربية ذكر لمشاحنات كثيرة في هذا الموضوع بين الحجازيين والعراقيين ليس هنا موضع تفصيلها.

اما التناقض بين هذه الابيات التي ذكرنا لابن عبد ربه وبين البيت الاول « اما النبيذُ الخ » فظاهر . واما تعليله فليس بالامر العسير ، ونرى ان هناك احد امور ثلاثة : اما ان البيت الاول مدسوس على ابن عبد ربه ، لاسيما وهناك اكثر من صورة له[٥] ، او انه قاله وهو يعني انه لا يشرب النبيذ بل يشرب ما هو اقوى من النبيذ من انواع الخمر ، ويجوز انه يقصد انه لا يشرب نبيذ صاحب القصر ولا يأكل خبزه «ولست آتيك الا كسرتي بيدي» ، او انه قاله حقاً وغناه انما كان ذلك آخر حياته وذلك حينما تاب عن غيّه ولهوه ، ولا نظن ان توبته كانت تمنع ان يسمع الغناء ، ونميل الى ترجيح الرأي الاخير . ولا يفوتنا ان نذكر هنا انه قد يجوز انه نظم هذا البيت في شبابه ايام لهوه وصبوته ، ولكنه كان كاذباً على صاحب القصر فيه . واذا فانا نعتقد ان

---

١) الثعالبي ١ : ٣٦١

٢) ابن عبد ربه ١ : ٣٨٠ ؛ والثعالبي ١ : ٤١٧

٣) الثعالبي ١ : ٣٦٣

٤) راجع الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، طبعة بولاق سنة ١٢٨٥ ، ج ٦ : ٩١

٥) ابن خاقان : ٥١

ابن عبد ربه كان يشرب الخمر ويحبها ويدعو اليها . ولعل شربه اياها كان من بعض الامور التي ارتكبها واستغفر ربه من اجلها طالباً رحمته لا عدله:

يا ويلنا من موقف ما به اخوف من يعدل الحاكمُ !
أبارز الله بعصيانه وليس لي من دونه راحمُ.
يا رب،غفرانك عن مذنب أسرف ، الا انه نادمُ! (١

واذا نظرنا الى ما كتبه في العقد في باب الطعام والشراب[٢] نرى انه من المتساهلين احياناً في امر شرب النبيذ يقف منه موقفاً يكاد يشبه موقفه من الغناء[٣] ، حتى انه يقول في احد المواضع : « فانّا نجد النبيذ قد اجازه قوم صالحون »[٤]

ولقد سلك ابن عبد ربّه سبلاً للهو ، غير الغناء والمسكر ، نرى الاشارة اليها في ما كتبه المؤرخون عنه[٥]. ومن الطبيعي لمن كان اليف الغناء والسكر ان يكون تبع نساء ، وقد كان ابن عبد ربه كذلك . وفي بعض ابياته التي ذكرنا بمناسبة شربه الخمر تصريح بسلوكه سبل اللهو مع النساء في مجالس الشرب.

وحاملة راحاً على راحة اليد مورّدة تسعى بلون مورّدِ...(٦

وله اشعار فيها تصريح اكثر من هذا نسكت عن ذكرها[٧]. وهو لم يقتصر في غزله، الذي يُظهر بعض لهوه ، على النساء... ولم يفت الذين كتبوا شيئاً من ترجمة حياته ذكر هذه الضروب من اللهو ، فقد دوّنوها عندما دوّنوا اخبار توبته ، واشاروا الى اشعار زهده التي محّص فيها اشعار صبوته[٨]. ولم يفت ابن

١) ابن عبد ربه ١ : ٣٠٦ ؛ والثعالبي ١ : ٤١٧ وفي الاخير «عفواً منك» بدل «غفرانك».
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٣٨٠
٣) ابن عبد ربه ٣ : ٤٠٠ و٤٠١
٤) « « ٣ : ٣٨٠
٥) ابن خاقان : ٥١ و٥٢ : والضبي : ١٣٨ ؛ وياقوت ٢ : ٦٧ — ٦٩
٦) ابن عبد ربه ٣ : ١٩٩
٧) المقري ، طبعة اوربة ، ٢ : ٣٨٤ : والثعالبي ١ : ٤٢١ و٤٢٧
٨) ابن خاقان : ٥٢ ؛ والضبي : ١٣٩ : وياقوت ٢ : ٧١

عبد ربه نفسه ، ايام توبته ، ان ينظر الى حياته هذه التي قضاها في سبل اللهو والغيّ والفساد نظر النادم الحزين قال :

زمانٌ كان فيه الرشد غيًّا ، وكان الغيُّ فيه من رشادي[1]

وله من قطعة :

الا يا زين قلبي للشبا ب الغفر اذ ولّى ،
جعلت الغيّ سربالي ، وكان الرشد بي اولى .[2]

هذا جلّ ما نعلمه عن شبابه من هذه الناحية . ولعله قد قضى اكثره في قرطبة ، اذ يظهر انه مدح اميرها محمد بن عبد الرحمن بن الحكم[3] ؛ وقد مات محمد هـذا سنة ٢٧٣ هـ[4] ، اي حينما كان عمر ابن عبد ربه ٢٧ عاماً ، وقد كان ملك هـذا الامير ٣٤ سنة[5] ، اي انه اعتلى العرش قبل ولادة ابن عبـد ربه بسبع سنوات . واذا راجعنا تاريخ الحقبة الاخيرة من حكم هـذا الامير نرى ان الفتن كانت منتشرة في اكثر بقاع الاندلس وأن رجلاً باسم عمر ابن حفصون كان يهدّد سلطة الامويين حتى يكاد يقضي عليها[6] ، وأن قرطبة كانت المركز الوحيد لاتباع الملك وحشمه وشعرائه[7] .

وكذلك نظن ان ابن عبـد ربه قضى سنتي ٢٧٠ و٢٧٥ هـ في قرطبة ملازماً الامير المنـذر بن محمد الذي يذكر الضبي انه كان من ممدوحيه[8] . ويذكر ابن عبـد ربه في عقده شيئاً من تاريخ هذا الامير وحربه مع عمر بن حفصون ، وينعت ابن حفصون بالمارق الفاسق[9] . ويظهر من كلام ابن عبـد ربه انه كان على صلة بالامير المنذر بن محمد ، فيذكر صفته دون ان يستند الى احد ، بينما تراه عند ذكره سيرة الامير محمد ، والد المنذر وسلفه ، يستند

---

١) الثعالبي ١ : ٤١٠ ٢) الثعالبي ١ : ٤٢٤ ، الغفر : بمعنى الحديث المنكر
٣) الضبي : ١٣٧ ٤) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٠
٥) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦٠ ٦) راجع Dozy, p. 308, 336
٧) راجع Dozy, p. 308, 336 ٨) الضبي : ١٣٧
٩) ابن عبد ربه ٢ : ٢٦١

الى الفقيه بقي بن مخلد[١] ، احد اساتذته ، وينقل عنه رواية وصف الامير وبعض اخباره . ويذكر ابن خلكان ان لابن عبد ربه في المنذر هذا قصيدة يمدحه فيها مطلعها :

بالمنذر بن محمد شرفت بلاد الاندلس ،
فالطير فيها ساكن ، والوحش فيها قد انس [٢]

وعاصر ابن عبد ربه الامير عبدالله وقد رقي هذا عرش قرطبة سنة ٢٧٥هـ[٣] ، وابن عبد ربه في التاسعة والعشرين من عمره . وقد لازمه لوقت ما ومدحه[٤] .
ونرى في العقد ارجوزة لابن عبد ربه في العروض يظهر انه قدمها للامير عبد الله حيث انه يذكر مدحه للامير في آخرها فيقول :

فالحمد لله على نعمائه حمداً كثيراً ، وعلى آلائه .
يا مالكاً ذات الملوك ، ليس له في ملكه شريك ،
ثبّت لعبدالله حسن نيّته واعطفه بالفضل على رعيته . [٥]

ويذكر دوزي (Dozy) في كتابه *Spanish Islam* ان قائداً عربياً باسم ابرهيم ابن الحجاج ظهر على مسرح النزاع في الاندلس واقام في اشبيلية امارة يحكمها بحيث كان يعترف في بعض الاحيان بسلطان الامير عبد الله . وكان ابن الحجاج ، فيما يذكر دوزي ، اميراً وتاجراً وقائداً محباً للآداب والفنون ، وقد وفد اليه العلماء من الجزيرة العربية ، وكان بينهم ابو محمد العذري النحوي الحجازي . وغنى في قصره المغنون والمغنيات من بغداد منهن الشاعرة المغنية الجميلة قمر[٦] . وهنا يذكر دوزي — دون ان يعلمنا بالمصدر الذي يستند اليه — ان شعراء قرطبة ، الذين كادوا يموتون جوعاً لبخل الامير عبد الله ، وفدوا على ابن الحجاج وغادروا عبد الله برأسهم « شاعر البلاط » ابن عبد ربه نفسه[٧] .
وكان ذلك ، فيما يظهر من كلام دوزي ، بعد السنة ٩٠٢ مسيحية ، حول

١) ابن عبد ربه ٢ : ٣٦٠ ، وفيه محمد بدل مخلد ، ولعلها خطأ من النساخ .
٢) ابن خلكان ١ : ٤٦
٣) ابن عبد ربه ٢ : ٣٦١
٤) الضبي : ١٣٧
٥) ابن عبد ربه ٣ : ١٦٨
٦) راجع Dozy, p. 378
٧) راجع Dozy, p. 379

السنة ٢٩٠ هـ[١]. اي عندما كان ابن عبد ربه في الرابعة والاربعين من عمره. والغريب اننا لم نعثر على شيء من وصف حياة ابن عبد ربه عند هذا القائد. فلا ابن عبد ربه يذكر هذا القائد في عقده، ولا هناك اشارة اليه في شعره او في المصادر التي بين ايدينا، مما يدلّ على ان شعره فيه – اذا كان ما يذكره دوزي صحيحاً – لم يصل الينا؛ ولا نرى الا اشارتين في العقد الى ممدوح كان قائداً[٢] مكني في كلا الموضعين بابي العبّاس، ونحن نعلم من دوزي ان الابن الاكبر لابرهيم بن الحجاج كان اسمه عبد الرحمن[٣]، كما وانه يذكر اسماء ابناء ابرهيم بن الحجاج وتوليهم قيادة بعد ابيهم، وليس بينهم من يحمل اسم ابي العباس. وقد كان احدهم محمد، فيما يقول دوزي معبود الشعراء.[٤] ومات سنة ٩١٥ مسيحية، اي حينما كان عمر شاعرنا نحو خمس وخمسين سنة. ولا يجوز ان يكون محمد هذا (ابن ابرهيم الحجاج) ممدوح ابن عبد ربه المكني بابي العبّاس حيث ان هناك اشارة في ارجوزة ابن عبد ربه التاريخية تذكر ابا العباس القائد في غزوة سنة ٣٠٣ هـ.

فسار في جيش شديد الباس، وقائد الجيش ابو العبّاس[٥]

وتذكر الارجوزة سنة موته في خبر غزاة سنة ٣٠٥ هـ اي بعد سنة موت محمد بن ابرهيم بن الحجاج.

وكان في آخر هذا العام نكب ابي العبّاس بالاسلام.

ثم تصف الارجوزة موته في المعركة[٦]. ومن يدري لعلّ دوزي قد اخطأ في تدوينه سنة موت محمد هذا.

ونرى في بعض اشعار ابن عبد ربه مسحة من التذمر والشكوى من زمانه وممدوحيه، ليس فيها اشارة توضح الزمن الذي كان يتذمّر فيه بالضبط، ولا فيها ذكر لاسماء الاشخاص الذين يشكوهم[٧]. ولعل هذه الاشعار تشير الى الوقت

١) راجع Dozy, p. 375
٢) ابن عبد ربه ١: ٤١ و١٠١
٣) Dozy, p. 373, 388
٤) Dozy, p. 388
٥) ابن عبد ربه ٢: ٣٦٦
٦) ابن عبد ربه ٢: ٣٦٧
٧) ابن عبد ربه ١: ١٠٧ و٢٤٠ و٢٤٩ و٢١٩

الذي ذكره دوزي من حياة ابن عبد ربه عند الامير عبد الله .

اما حياة ابن عبد ربه ، اول امارة عبد الله ، فقد كانت مما يظهر من كتاب Ribera ميسورة — رغم بخل عبد الله — وقد كثر فيها انعام عبد الله عليه[1] .
ومات الامير عبد الله سنة ٣٠٠ هـ ، وولي مكانه الملك القمر الازهر — كما ينعته ابن عبد ربه[2] — عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر ، وهو اول ملك بالاندلس دعي بأمير المؤمنين ، وهنا نرى شعرًا لابن عبد ربه فيه :

بـدا الهلال جديـدا ، والملـك غضٌّ جـديدُ ،
يا نعمة الله زيـدي ما كان فيه مزيدُ .[3]

ويظهر انه لازمه طويلًا واكثر من مدحه ، وقال عنه في عقده : «وقد قلت وقيل في غزواته كلها اشعار قد جالت في الامصار وشرّدت في البلدان حتى أتهمت وانجدت واعرقت ولولا ان الناس مكتفون بما في ايديهم منها لاعدنا ذكرها او ذكر بعضها .»[4]

وتصدّى ابن عبد ربه الى ذكر مغازي النـاصر فنظمها ارجوزة ذكر فيها خبر كل سنة على حدة ، ولا نعلم بالضبط ما اذا كان ابن عبد ربه نظم هذه الارجوزة مرّة واحدة آخر حياته او انه كان ينظمها سنة بعد سنة ؛ ويلوح لنا انه نظمها مرة واحدة اذ جعلها ارجوزة واحدة وتكلم عنها كقصيدة واحدة[5] . والغريب ! — وربما تعليل ذلك يسير — ان ابن عبد ربه ينتهي في ارجوزته الى سنة ٣٢٢ هـ . ونحن نعلم انه عاش حتى سنة ٣٢٨ هـ . ونعلم ان الناصر ظلّ يحارب الى ١٠ بعد هذا التاريخ . قلنا : وتعليل ذلك يسير . اذ ان الخليفة الناصر خذل في هذه السنوات الخمس الاخيرة من حياة ابن عبد ربه ، اي بين ٣٢٣ و ٣٢٨ هـ ، بعد انتصاراته المذكورة في الارجوزة[6] . فلعلّ ابن عبد ربه سكت عن تدوين ذلك الخذلان في ارجوزته ، او لعله ذكره ولكنّ من جمع عقده او كتبه بعده

١) Ribera, p 123 ، والغريب انه لا يذكر المصدر الذي استند اليه في هذا الامر .
٢) ابن عبد ربه ٢ : ٣٦٣ . ٣) ابن عبد ربه ٢ : ٣٦٣ .
٤) 〃 〃 ٢ : ٣٦٣ . ٥) 〃 〃 ٢ : ٣٦٣ .
٦) المقري ١ : ١٦٦ و ١٧١

قد اهمله وحذفه ، لاسيا وقد كان الجامع لشعره وبعض اخباره الحكم بن عبد الرحمن الناصر نفسه[1] . وقد قام الخليفة عبد الرحمن الناصر بمشاريع عمرانية كثيرة لا نرى لابن عبد ربه شعرًا فيها، خصوصاً « الزهراء » التي باشر الخليفة بناءها قبل موت ابن عبد ربه باربعة اعوام . ويشير ابن عبد ربه الى مآتي الناصر العمرانية بقوله في العقد : «ومن مناقبه (الضمير يعود على الناصر) ان الملوك لم تزل تبني على اقدارها ويقضى عليها بآثارها وانه بنى في المدة القليلة ما لم تبنِ الخلفاء في المدة الطويلة ، نعم ! لم يبق في القصر الذي فيه مصانع اجداده ومعالم اوليته بنيةٌ الا وله فيها اثر محدث اما تزييد او تجديد.»[2]

وليس في كل ما قرأنا اشارة صريحة الى اشتراك ابن عبد ربه بتلك الغزوات والحروب التي وقعت في عصره بين ملوكه واعدائهم . فلا هو ذكر عن نفسه خبر واقعة اشترك فيها ، ولا احد اشار الى مرافقة ابن عبد ربه اميرًا ما او ملكاً او قائدًا ما في غزوة او دفاع . وكل ما في الامر انه نظم اشعارًا نراها في عقده في وصف الجيوش والحرب وهولها . قد يشتمّ منها انه اختبر بعض محنها[3] .

وقد كان ابن عبد ربه فقيهاً . ولعله طرق باب الفقه ايام الامير عبد الله حيث كان الاخير يحبّ الفقه وعلوم الدين حتى نعته ابن عبد ربه بالعابد الزاهد التقي النقي التالي لكتاب الله القائم بحدود الله[4] ، لاسيا وقد جاز ابن عبد ربه وقتذاك شبابه ، وبلغ آخر ايام عبد الله حدود الخمسين ، وبدأ اتجاهه نحو الزهد يظهر . وليس من شك في انه قد اخذ دروساً في الفقه والدين ، وهو في الثلاثين من عمره او قبل ذاك ، لان ابن الفرضي يذكر لنا ان ابن عبد ربه درس الفقه على شيوخ منهم الخشني وابن وضاح وبقي بن مَخلد[5] .ويذكر Brockelmann ان بقياً هذا قد مات سنة ٢٧٦ هـ.[6] اي حينما كان عمر ابن عبد ربه حول ٣٠ سنة .

---

١) الضبي : ١٢٧ .
٢) ابن عبد ربه ٣ : ٣٦٣ .
٣) ابن عبد ربه ١ : ٤٢ و٤٣ .
٤) » » ٣ : ٣٦١ .
٥) ابن الفرضي ١ : ٣٧ ؛ وابن عبد ربه ٣ : ٣٦٠ .
٦) Brockelmann, I, 164

وكانت بعض مدن الاندلس في هذا العصر ، وبالاخص المدن الخاضعة لنفوذ عربي كقرطبـة واشبيلية ، ملأى بالفقهاء وعلماء الدين . وكانت الطلبة ، فيما يقول Nickolson ، تعد بالالوف ، وكان اكثرهم طـلاب فقه من شريعة ولاهوت لاسيما وقد كان درس الفقه ممهدًا لاستلام المراكز الرفيعة[1] .

ولعل درسه الفقه وسيرته كفقيه يفسران لنا رواية المؤرخين في انه كانت له ديانة وصيانة[2] .

ولقد درس ابن عبد ربه ، فيما يظهر من عقده ومن الاخبـار عنه ، العلوم المعروفة في ذلك العصر من نحو وعروض وشريعة وتاريخ وادب . وقـد نعته بعض هؤلاء المؤرخين القدماء بالعالم[3] ، ووصفه بعضهم بانه من اهل العلم[4] ، وقال البعض الآخر « وكانت لابي عمر بالعلم جلالة »[5] . وترى اثر هذه النزعة العلمية ظاهرًا في عقده من حيث مواضيعه وابحاثه وتصنيفه وتبويبه وعدم تطرق صاحبه في كثير من المباحثات ذات الوجوه المتعددة التي اثيرت في العقد، واعتداله في الرأي وحججه عند ابداء وجهة نظره .

وربما من الخير ان نشير هنا الى شعر لابن عبد ربه ورد فيه ما يفيد عدم ايمانه بكروية الارض ، وردّه على عالم يدين بهذا الرأي اسمه مسلم ابو عبيدة البلنسي ويعرف بصاحب القبلة،قال عنه ابن صاعد الاندلسي في «طبقات الامم»انه كان عالمًا بحركات الكواكب.ثم قال:وفيه يقول احمد بن محمد بن عبد ربه :

ه ابيت الا شذوذًا عن جماعتنا ولم يصب رأي من أرجى ولا اعتزلا

الى ان يقول :

زعمت بهرام او بيدخت يرزقنا	لا بل عطارد او برجيس او زحلا
وقلت ان جميع الارض في فلك	جسم محيط وفيهم يقسم الاجـلا
والارض كورية حف السماء بها	فوقًا وتحتًا وصارت نقطة مثلا
صيف الجنوب شتاء للشمال بها	قـد صار بينهما هـذا وذا اولا
فـان كانون في صنا وقرطبـة	بردًا(٦ وايلول يذكي فيها الشملا

---

١) Nickolson, p. 420 .
٢) الضبي : ١٢٧
٣) السيوطي : ١٦١
٤) الضبي : ١٢٧
٥) ياقوت ٢ : ٦٨
٦) كذا في الاصل ، ولعلها بردٌ

هذا الدليل ولا قول غررت به من القوانين يجلي القول والمملا »[1]

وليلاحظ رأي هذا العالم منذ اكثر من الف سنة في كروية الارض ، وانها نقطة في فلك تحف السماء بها من كل جهاتها . وليلاحظ ان علماء زمنه ، ومنهم صاحبنا ابن عبد ربه ، يخالفونه في رأيه هذا ويعدونه شاذاً عنهم خارجاً عن جماعتهم :
« ابيت الا شذوذاً عن جماعتنا » الخ .

وكان ابن عبد ربه قبل كل شيء اديباً وشاعراً ؛ وما كتبه في العقد يكفي لاظهار هذا الامر . وكانت ثقافته الادبيَّة ثقافة شرقية ، فقد عُني كما عُني غيره من ادباء الاندلس في اول نهضتهم بدرس اخبار الشرقيين واشعارهم وادبهم حتى ان عقده — لولا فصل صغير عن ملوك الاندلس — اقتصر على اخبار المشرق . وقد احسّ المشارقة بهذه الروح الغالبة في ادب الاندلس . رووا ان الصاحب بن عبَّاد لما وصل اليه العقد وقرأه قال : « هذه بضاعتنا ردّت الينا . ظننت ان هذا الكتاب يشتمل على شيء من اخبار بلادهم ، وانما هو يشتمل على اخبار بلادنا ، لا حاجة لنا فيه »[2] .

وكان التماسّ الادبي على اشدّه بين الاندلسيين وبين اهل اقطار العالم العربي ، وكان كثير من علماء الشرق وادبائهم يرحلون الى الاندلس ، واخذ كثير من علماء الاندلس وادبائها يرحلون الى الشرق في طلب العلم والادب . ونظرة الى ما كتبه المقرّي[3] عن هؤلاء جميعهم منذ اول القرن الثالث الى آخره تكفي لتبيان ما نذهب اليه من نهضة هؤلاء الاندلسيين الادبية والعلمية وسعيهم في تتبعهم طريق المشارقة فيهما . ولم يكن ارسال المستنصر ، آخر هذا العصر الذي نصفه ، وراء كتاب الاغاني واستحضاره النسخة الاولى منه لقاء الف دينار ، وارساله الرسل يشترون له الكتب من مختلف الاقطار[4] ، ولم تكن عناية الصاحب بن عبَّاد في الشرق بحرصه على ان يكون عنده العقد وبمراجعته اياه وملاحظته عليه ، الَّا مظهراً من مظاهر هذا التماسّ الذي كان فيه اهل الاندلس

---

١) ابن صاعد : ٦٤
٢) ياقوت ٢ : ٦٧
٣) المقري ١ : ٢٢١ و ٢٢٢
٤) Nickolson, p. 419

يقتفون آثار اهل المشرق ويتبعون سبلهم .

ولم يقتصر تأثير هذه النهضة الادبية العربية على العرب ومواليهم فحسب ، بل تعداهم الى المسيحيين من اهل الاندلس ، فعكف هؤلاء بدورهم على درس اللغة العربية واشعارها وآدابها . حتى ان احد مواطنيهم دوّن اسفه وشكواه وتذمره من حالتهم برسالة تحس فيهـا اعجاب هؤلاء المسيحيين الاندلسيين في قرطبة باللغة العربية واقبالهم على رشف مناهلها ودرس آدابهـا واكبابهم على تعلمها وجمع كتبها بحيث كادوا ينسون لغتهم العلمية اللاتينية[1] .

واذا راجعنا المصادر التي استند اليها ابن عبد ربه في عقده نرى انه استند بالاكثر الى علماء المشرق ، فهو ينقل عن المبرّد ، والاصمعي ، والشيباني ، والمدائني ، والعتبي ، وابي عبيدة ، وابن المقفع ، وابن سلام الجمحي ، وابن الكلبي ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، وكم كان عشق الاندلسيين لهـذا الاديب الاخير حتى روي في تاريخ ابن كثير[2] ان اهـل المغرب كانوا يتهمون من لم يكن في بيتـه من تاليف ابن قتيبة شيء . ويظهر ان روايات هؤلاء الرواة واخبارهم وكتب علوم العرب وآدابها كانت متداولة بين ايدي علماء الاندلس وادبائها ؛ ويقول Nickolson ان قرطبة كانت في هـذا العصر من اهم الاوساط العلمية والادبية في العالم ؛ وكان في جامعها ، او ان شئت فقل في جامعتها ، العالم ابو بكر القرشي يحاضر في الحديث ، والاديب الكبير ابو علي القالي يبحث مع الطلاب في آداب العرب ، وابن قوطية يدرّس النحو[3]. ويذكر المقري عظمة قرطبة من هذه الناحية في هذا العصر فيقول باسناد عن بعضهم : « ان قرطبـة كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء وان اليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء ومن افقها طلعت نجوم الارض واعـلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها نشأت التاليفات الراقية والسبب في تبريز القوم حديثاً وقديماً على من سواهم ان افقهم القرطبي لم يشتمل قط الّا على البحث والطلب لانواع العلم والادب»[4]. وروى ايضاً ان قرطبة كانت في ذلك العصر اكثر بلاد الله

١) Dozy, p. 268 ٢) الجزء ٣ القسم ٣ من النسخة الفوتغرافيـة بدار الكتب المصرية ، راجع ابن قتيبة ٤ : ١٨ ٣) Nickolson, p. 420 ٤) المقري ١ : ٢١٧

كتباً ، وانه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها[١] . ولعل من الجميل ايضاً ان نورد هنا هذه القصة التي ذكرها المقري ايضاً ، وهي تظهر اعتناء اهل قرطبة بجمع الكتب حتى صار امر اقتنائها « موضة »[٢] يشتهرون بها قال :

« قال الحضرمي اقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها اترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الى ان وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ، ففرحت به اشد الفرح . فجعلت ازيد في ثمنه فيرجع اليَّ المنادي بالزيادة عليَّ الى ان بلغ فوق حده فقلت له : « يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوي » (قال) فاراني شخصاً عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت له : « اعزّ الله سيدنا الفقيه ، ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده » (قال) ، فقال لي : « لست بفقيه ولا ادري ما فيه ، ولكني اقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين اعيان البلد وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم ابالِ بما ازيد فيه »[٣] .

ويقول Lane Poole عن قرطبة في هذا العصر في كتابه *The Moors in Spain* : « لم يكن هناك مدينة في اوربة — اذا استثنينا بيزنطة — تقابل بقرطبة من حيث جمال دورها وقصورها واناقة الحياة فيها والبذخ وثقافة اهاليها وعلمهم »[٤] .

فلا عجب بعد كل هذا ان ينشأ ابن عبد ربه النشأة التي وصفنا . وسنرى اثر هذه النشأة في شعره وعقده اللذين سنتصدى لدرسها ؛ وهناك نواحٍ أخرى من حياة ابن عبد ربه سنعرض لها عند البحث في عقده وشعره ، فنتكلم اذ

١) المقري ١ : ٧٦ و٧٧ و٢١٨ .

٢) من الخير ان نذكر هنا ان ابن عبد ربه يستعمل في العقد كلمة « شهرة » بمعنى « موضة » كأن يقول مثلاً : وكانت الشهرة في تطويل الاكمام ، ثم صارت في تقصيرها .

٣) المقري ١ : ٢١٨ .

٤) Lane Poole, p. 129 139 وراجع ايضاً كتاب Farmer, *History of Arabian Music*, Luzac and Cie. Lond 1929, p. 45.

ذاك عن ميوله ونزعاته وعسى ان لا يفوتنا عندئذ وصف بعض نواحي خلقه .

وروى الرواة ان ابن عبد ربه تلب آخر حياته عن امور ارتكبها في شبابه واعترف بذلك اعتراف متألم[1]، كما قدمنا ، واقلع عن صبوته وعمد الى اشعاره في التزل ، فمحصها ونقضها بمثيلها في الزهد والمواعظ وسماها «الممحصات» وجعلها على اعاريض تلك وقوافيها ، منها القطعة النزلية التي اولها :

« هلا ابتكرت لبين انت مبتكرُ »

فانه قد محصها ونقضها بقوله :

يا قادراً ليس يعفو حين يقتدر ماذا الذي بعد شيب الراس تنتظرُ؟
عاين بقلبك ، ان العين غافلة عن الحقيقة ، واعلم انها سقرُ
سوداء تزفر من غيظ اذا سفرت للظالمين فلا تبقي ولا تذرُ
لو لم يكن لك غير الموت موعظة لكان فيه عن اللذات مزدجرُ
انت المقول له ما قلت مبتدئاً : «هلا ابتكرت لبين انت مبتكرُ» (٢

واصيب ابن عبد ربه بالفالج آخر اعوامه[٢] ، كما اصيب الجاحظ من قبله ، وابو الفرج الاصبهاني من بعده . وتوفي يوم الاحد لثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ٣٢٧ هـ ، وهو ابن احدى وثمانين سنة وثمانية اشهر وثمانية ايام ، ودفن يوم الاثنين في مقبرة بني العباس[٤] .

---

١) ابن خاقان : ٥٢ ؛ وياقوت ٢ : ٧١ .
٢) ابن خاقان : ٥٢ والضبي : ١٣٩ ؛ يذكر الابيات مع بعض اختلاف في رواية البيت الاول.
٣) ابن الفرضي ١ : ٣٧ ؛ وابن خلكان ١ : ٤٦
٤) « « ١ : ٣٧ « « ١ : ٤٦ ؛ وحاجي خليفة ٢ : ١٢٤
ويذكر Wüstenfeld في p. 35, Nr. 107 ان كلمة العباس في عبارة مقبرة بني العباس خطأ من ابن خلكان ، ولذلك فقد وضع موضعها كلمة « الامويين » . ولا نرى موجباً لذاك ، لاسيا وليس لدى Wüstenfeld مصدر يستند اليه في هذا الامر . ولم يتفرد ابن خلكان بذكر ان المقبرة لبني العباس فقد سبقه ابن الفرضي كما رأينا وتابعها على ذاك حاجي خليفة ، كما وان اسم العباس لم يكن غير معروف بالاندلس ، وقد كان من ممدوحي ابن عبد ربه قائد يكنى بابي العباس ، ويترجم ياقوت في معجمه للادباء حياة بقي بن مخلد استاذ ابن عبد ربه ويذكر ان بقياً هذا قبر بمقبرة منسوبة لبني العباس ، ياقوت ٢ : ٣٦٦ ، فلينتبه الى هذا !

العلم في الحيرة

مدارس الحيرة ، الخط الحيري ، الشعر والامثال والخطابة

بقلم يوسف غنيمه (بغداد)

٣

(تتمة)

الشعر العربي في الحيرة (تابع)

وهناك آخر من اصحاب المعلّقات زار الحيرة ووفد على ملكها اللخمي ، أُريد به لَبيد بن ربيعة[1] المتوفى سنة ٦٧٥ م. فهو احد شعراء الجاهلية والمخضرمين. وهو من اشراف الفرسان المجيدين. قال ابو الفرج الاصبهاني: دخل لبيد بن ربيعة على النعمان مع عامر بن مالك ملاعب الاسنة ، وكان يكنى ابا البراء، في رهط من بني جعفر ومالك بن جعفر وعامر بن مالك عم لبيد، فوجدوا الربيع بن زياد العبسي وامه فاطمة بنت الخُرشب . وكان الربيع نديماً للنعمان مع رجل من تجار الشام يقال له زرجون بن نوفل ، وكان حريفاً للنعمان يبايعه . وكان الربيع يوغر صدر النعمان على الجعفريين حتى رأوا منه جفاء وصدوداً ثقل عليهم . فبينما كانوا يتفاوضون يوماً بهذا الامر سمعهم لبيد ، وكان متخلفاً عنهم يحفظ ابلهم ولم يرافقهم الى النعمان ، فطلب اليوم ان يدخلوه الى النعمان ليوقع بالربيع . فاجابوه وادخلوه على النعمان . فوجده يتغدّى ومعه الربيع ، وهما يأكلان لا ثالث لهما ، والدار والمجالس مملوءة من الوفود . فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا عليه فذكروا الذي قدموا له من

---

١) الاغاني ١٤ : ٩٠ ؛ وزيدان : الاداب العربية ١ : ١١١ ؛ والمبدة ١ : ٢٦ ؛ والروائع ٢٤

حاجتهم ، فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم . فقال لبيد ابياتاً من الشعر في هجاء الربيع وذمّه وذكر فيه برصاً وانه غير نظيف . فسبّه الربيع . واثر كلام لبيد في النعمان وتقزّزت نفسه من عشرة الربيع فصرفه عنه وعن بلاده.
واراد الربيع ان يتنصّل من الوصمة التي وصمه بها لبيد الا ان النعمان اجابه :

قد قيل ذلك ، ان حقاً وان كذباً ، فما اعتذارك من قول اذا قيلا ؟

ورويَ ان النابغة رأى لبيداً وهو صبي يخرج من عند النعمان ، فقال له : اليَّ ، يا ابن اخي ، فاتاه ؛ فقال : انشدني. فانشده قوله :

ألم تلمم على الدمن الخوالي لسلمى بالمذانب فالقفال ؟

فقال له النابغة : انت اشعر بني عامر ؛ زدني . فانشده :

طلل لخولة بالرسيس قديم بعاقل فالانعمين وشوم

فقال له : انت اشعر هوازن ؛ زدني . فانشده :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فقال له : اذهب فانت اشعر العرب !

وذكروا ان عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، يقول له : استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام . فارسل الى لبيد وقال : انشدني ما قلته في الاسلام . فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم اتى بها وقال : ابدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر .

ووفد حسّان بن ثابت ، المتوفّى سنة ٦٧٢ م ، على النعمان بن المنذر . وهو من الخزرج ومن المخضرمين[١] . واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة وله مع النابغة الذبياني احاديث . واختصّ بعد الاسلام بمدح النبي والدفاع عنه ، وهو يُعدّ اشعر اهل المدن في ذلك العصر .

قال حسّان : قدمتُ على النعمان بن المنذر وقد امتدحته . فاتيت حاجبه عصام بن شهبرة فجلستُ اليه . فقال : اجئت بمدحة الملك ؟ قلت : نعم . قال : فاني ارشدك اذا ادخلت عليه فانه يسألك عن جبلة بن الايهم ويسبّه

١) الاغاني ٩ : ١٦٤ ؛ وزيدان : الاداب العربية ١ : ١٥٢ ؛ والعقد الفريد ١ : ١٧٥

فاياك ان تساعده على ذلك ، ولكن امر ذكره مرارًا لا توافق فيه ولا تخالف وقل : ما دخول مثلي ايها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وانت منه . واذا دعاك الى الطعام فلا تؤاكله فان اقسم عليك فاصب منه اليسير . ولا تطل محادثته ، ولا تبدأه باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ولا تطل الاقامة في مجلسه . فقلت : احسن الله رفدك . ودخل ثم خرج اليَّ فقال لي : ادخل . فدخلتُ ، فسلمت تحية الملوك ، فجاراني من امر جبلة ما قاله عصام كأنه كان حاضرًا واجبت بما امرني به . ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي . وامر لي بالطعام والشراب ففعلتُ مثل ذلك . فامر لي بجائزة سنيّة . وخرجتُ فقال لي عصام بقيت عليَّ واحدة لم أوصك بها . قد بلغني ان النابغة الذبياني قدم عليه ، واذا قدم ليس لاحد منه حظٌّ سواه فاستأذن حينئذٍ ، وانصرف مكرّماً خير من ان تنصرف مجفوًّا .

وهذا يزيد بن عبد المدان[1] (٦١٥ م) من مذحج ذكر النعمان بن المنذر غير مرة في شعره ومن ذلك قوله معيّرًا عامر بن الطفيل :

كانت اتاوة قومه لمحرّق زمنًا وصارت بعدُ للنعمان

فقال عامر بن الطفيل :

عجباً لواصف طارق الاخزان ولما تجيء به بنو الديّان
فخروا عليَّ بحبوةٍ لمحرّق واتاوة سيقت الى النعمانِ
ما انت وابنُ محرّق وقبيله واتاوة اللخميّ في غيلانِ

روى ابن الكلبي ان ابن جفنة سأل القيسيين في مجلس حضره يزيد بن عبد المدان ، شاعرنا هذا ، عن النعمان بن المنذر ، فعابوه وصغّروه . فنظر ابن جفنة الى يزيد فقال له : ما تقول يا ابن عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خير الفتيان ليس صغيرًا من منعك العراق وشركك في الشام ، وقيل له ابيت اللعن ، وقيل لك يا خير الفتيان ، والفى اباه ملكاً كما الفيت اباك ملكاً . وايم الله ما فيهم رجل الا ونعمة النعمان عنده عظيمة . . . وقال يزيد بن عبد المدان شعرًا

---

[1] الاغاني ١٠ : ١٤٠ ؛ وشعراء النصرانية ٨١

فيما كان بينه وبين القيسي عامر بن مالك الذي كان حاضراً وغضب ، واليك الشعر :

تعالى على النعمان قوم اليهم مَوارده في مُلكه ومصادرُهْ
على غير ذنب كان منه اليهم سوى انه جادت عليه مواطره ،
فباعدهم من كل شرّ يخافه وقرّبهم من كل خير يبادره .
فظنوا، واعراض المنون كثيرة ، بأن الذي قالوا من الامر ضائرهْ
فلم ينقصوه بالذي قيل شعرةً ولا فُللت انيابه واظافره ،
والحارث الجفني اعلم بالذي يبوء به النعمان ان جفّ طائره
فيا حار ، كم فيهم لنعمان نعمةً من الفضل والمن الذي انا ذاكره ،
ذنوباً عفا عنها ، ومالاً افاده ، وعظماً كسيراً قوّمته جوابره ،
ولو سال عنك الناشبين ابن منذر لقالوا له القول الذي لا يحاذره .

زهير بن ابي سلمى[1] وهو من مزينة احدى قبائل مضر . ومما ينسب اليه قصيدة ذكر فيها النعمان بن المنذر حين طلبه كسرى ليقتله ومدح بني رواحة من بني عبس الذين ارادوا ان يجيروا النعمان ، وقد نسب بعضهم هذه القصيدة الى صرمة الانصاري . ومطلعها :

الا ليت شعري هل يرى الناس ما ارى من الامر او يبدو لهم ما بدا ليا

الى ان قال :

ألم تر للنعمان كان بنجوة من الشرّ ، لو ان امرءا كان ناجيا ،
فغيّر منه ملكَ عشرين حجةً من الدهر يوم واحد كان غاويا ،
فلم ارَ مسلوبا له مثل مُلكه اقلّ صديقاً باذلاً او مُؤاسيا !
فاين الذين كان يعطي جياده بارسانهنّ والحسان الغواليا ؟
واين الذين كان يعطيهم القرى بغلاتهنّ والمئين الغواديا ؟
واين الذين يحضرون جفانه اذا قدّمت القوا عليها المراسيا ؟

فجميع من ذكرناهم من شعراء الجاهلية الذين كان لهم مختلف الصلات بالحيرة وملوكها ، ولاسيما في القرن السادس . وهناك رهط آخر من الشعراء في الجاهلية والاسلام ممن ذكروا الحيرة وملوكها وحروبهم وقصورها ودياراتها وخماراتها كطخيم الطخاء الاسدي ، وابي الطمحان القيني ، وسليط بن سعد ،

---

١) الاغاني ٩ : ١٤٠ – ١٥١ : وشعراء النصرانية ٥١٠ ؛ والشعر والشعراء ٥٧ ؛ وزيدان : الاداب العربية ١ : ١٠٥ ؛ والروائع ٢٥

والخرنق اخت طرفة ، وحنين بن بلوع الحيري ، وعبدالله الحر الجعفي ، والثرواني ، والحماني ، وابن كناسة ، وابي نواس ، والسيد الشريف الرضي ، وابي العتاهية ، وابي قابوس البادي النصراني الذي كان منعطفاً الى البرامكة ، وغيرهم فغيرهم . فانت ترى من هذا كله ان ذكر الحيرة خالد عند العرب ما دام العرب يتغنون باشعار الجاهلية ويفخرون بمعلقاتهم .

الامثال العربية والحيرة

لا يخلد ذكر الحيرة في الآداب العربية بمدارسها ، وبالخط المنسوب اليها ، ولا ببلاغة الشعراء وقصائدهم ومعلقاتهم ومجمهراتهم ومفضلياتهم بها فحسب ، بل هناك طائفة كبيرة من الامثال السائرة في لغة الضاد نشأت في الحيرة نفسها ، او هي وليدة حوادث لها مساس بتاريخ الحيرة ، او ان مخيلة المفترين اخترعت تلك القصص لربط الامثال بها .

ومهما كان الحال فذكر الحيرة وذكر ملوكها وامرائها مرتبط بالآداب العربية وأمثالها بروابط متينة العرى مجدولة القوى . ومن تلك الامثال ما قيل في حادثة الزباء وجذيمة الابرش وقصير وهي « رأي فاتر ، وعدو حاضر » — « رأيك في الكن لا في الضح » — « قصير لا يطاع لقصير امر » — « ببقة ابرم الامر » — « ببقة تركت الرأي » — « خطر يسير ، وخطب كبير » — « ويل آمه على متن العصا » — « ما ضل من تجري به العصا » — « بلغ المدى ، وجف الثرى ، وامر غدر ارى » — « امنع من عقاب الجو » — « لامر جدع قصير انفه » الى غير ذلك[1] . وقد نسب الى الزباء المثل « بيد لا بيد عمرو »[2] .

ومثل نشأة هذه الامثال ورد في سيرة عبيد الابرص وحكايته مع ملك الحيرة . ومن تلك الامثال : « اتتك بحائن رجلاه » — « حال الجريض دون القريض » — « بلغ الحزام الطبيين » — « المنايا على الحوايا » — « لا يرحل رحلك من ليس معك » - « من عز بز »[3] .

---

١) ابن الاثير ١ : ١٢٧ – ١٢٨ ٢) الاغاني ١٤ : ٧٣

٣) الاغاني ١٩ : ٨٧

وقال طرفة لما كان ينشد المسيب بن عاس في الحيرة امام عمرو بن هند شعراً في وصف الجمل ثم انتقل الى نعت الناقة : « قد استنوق الجمل »[١] .
ونشأ في الحيرة المثل القائل « قد يضرط الحمار والمكواة في النار » قاله مسافر ابن عمرو بن أمية عندما أريد كيه في الحيرة[٢]. وقيل المثل « اتبع الفرس لجامها والناقة زمامها » لما أريد استرجاع سلمى بنت وائل، الصائغ من فدك ، من أسرها وهي التي اضحت بعد ذلك زوج المنذر بن امرئ القيس الثاني وام النعمان بن المنذر[٣].

ومن الامثال التي نشأت وقائعها في الحيرة « حتى يؤوب المنخل » — « افخر من حارث بن حلزة » — « جزاء سنمار »[٤] — « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه »[٥] — « ابطش من دوسر »[٦] — « افتك من الحرث بن ظالم »[٧] — « اعز من حليمة »[٨] — « اعز من مروان بن القرظ »[٩] — « اخيب من حنين »[١٠].

وهناك طائفة غير هذه من الامثال نشأت في الحيرة لا يسعنا ان نوردها كلها لضيق المقام ، فلتراجع في مظانها.

الخطابة

الخطابة قسم من آداب اللغة احتاج اليها المتكلمون بلغة الضاد للمفاخرة بالاحساب والآداب في المجالس والاندية العامة والخاصة ولايفاد الوفود . وللمناذرة ، ملوك الحيرة ، منزلة في تاريخ الخطابة عند العرب. وقبل ان نذكر شيئاً في هذا الباب لا بد لنا من التنويه باننا لا نسلم مستسلمين بصدق الروايات التي نقلها عن الادباء والمؤرخين ولا نبت بصحتها كأنها حقائق تاريخية باجمعها، بل نعتقد ان هناك طائفة من الروايات والمرويات وضعت لغايات مقصودة

١) الاغاني ٢١ : ١٢١ — ٢) الاغاني ٨ : ٤٧
٣) الميداني ١ : ٨٩ — ٤) الميداني ١ : ١٠٧
٥) « ١ : ٨٦ — ٦) « ١ : ٨٧
٧) « ٢ : ٢٤ — ٨) « ١ : ٢٢١
٩) الميداني ١ : ٢٢١ — ١٠) « ١ : ١٧٢

على السنة بعض مشاهير الرجال . وقد تكون الرواية التي نستشهد بها هنا من هذا القبيل كلها او بعضها . ولكن هناك حقيقة لا تتمكن من انكارها وهي ان تكرار ذكر ملوك الحيرة في الآداب العربية لدليل باهر على مقامهم السامي وموقفهم الرفيع في اذهان العرب . وبعد هذه الكلمة نقول :

قال ابن القطامي نقلاً عن الكلبي : قدم النعمان بن المنذر على كسرى ، وعنده وفود العرب والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم . فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الامم لا يستثني فارس ولا غيرها فقال كسرى ، واخذته عزة الملك ، معدّداً فضائل الامم ومغمطاً من حقّ العرب . فاجابه النعمان : أصلح الله الملك ، حقّ لامة الملك ان تسمو فضائلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها . الا ان عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير ردّ عليه ولا تكذيب له . فان امنني من غضبه ، نطقت به. قال كسرى : قل فانت آمن . فطفق النعمان يوصف فضائل العرب واخلاقهم وعزّة نفوسهم بكلام بليغ . فعجب كسرى لما اجابه النعمان وقال : انك لاهل لموضعك من الرئاسة في اهل اقليمك ولما هو افضل . ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة .

فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين امرهم بعث الى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين ، والى الحرث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين ، والى خالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، والى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، والحرث بن ظالم المري . فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها ، وقد سمعتُ من كسرى مقالات تخوفت ان يكون لها غور او يكون انما اظهرها لامر اراد ان يتخذ به العرب خولاً كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الامم . فاقتصّ عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه ، ودعا لهم بما في خزائنه من طرف حلل الملوك ، واعطى كل رجل منهم حلة وعممه عمامة ، وختّمه بياقوتة ، وامر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية وفرس

نجيبة ؛ وارسلهم الى كسرى وكتب معهم كتاباً . فلما صاروا الى مجلس كسرى خطب كل منهم خطبة آية في البلاغة والقوا من درر الكلام ما يزري بالجمان ويصح ان تتخذ فصاحته منوالاً ينسج عليها[1] .

***

وصارى القول ان الحيرة كانت في عهد عزها وابان سلطانها مركزاً خطيراً للعلوم والمعارف وملتقى كبار الادباء ومشاهير الشعراء . وكان ملوكها منشطين الحركة الادبية العربية والحضارة ولاسيما في القرن السادس الميلاد . ولا نخطى الحزر ان ذهبنا الى ان الحفر في اطلالها يوقفنا على حقائق تاريخية يجهلها العلماء ، او انهم مختلفون في تعليلها ، سواء اكان في التاريخ او الآداب او فنون الريازة والنقش والترويق . فنختم مقالنا هذا بقول الاثري تلبوت رايس[2] : « ان مشاكل كثيرة نجد اليوم في طلبها ولا نتوصل اليها ، ولكن حلولها تنتظرنا في بطن ارض الحيرة وبين ثنايا آثارها المدفونة . »

١) العقد الفريد ١ : ١٦٦ — ١٧٤ ؛ وزيدان : آداب اللغة العربية ١ : ١٦٩

٢) *Journal of the Royal Asiatic Society*, April 1932, p. 265

لبنان في عهد الامير فخر الدين

منذ ثلاثمائة سنة

١٥٩٠ - ١٦٣٥

بقلم عيسى اسكندر المعلوف
مؤلف تاريخ الأسر الشرقية

٣

(تتمة)

من نوادر اعمال فخر الدين

ذكر شيخ المؤرخين الوطنيين البطريرك اسطفان الدويهي في كتابه « تاريخ الازمنة المخطوط » :

« انه بزمن الامير فخر الدين قويت النصارى وركبوا الخيول بسروج ولبوا عمائم بيضاء وكرورًا ولبسوا مناطق وسيوفاً مرصعة وحملوا السلاح المرصع . وقدم المرسلون من بلاد الافرنج وسكنوا لبنان »[1] اه .

ومما يرويه الشيوخ عنه ان امرأة حلبية حكم حاكم حلب على ابنها الوحيد بالاعدام ، فضاقت الدنيا بوجهها ، وقصدت فخر الدين لما كانت تسمعه عن هيبته ومكانته ، فطلبت منه رسالة الى ذلك الحاكم ليعفو عن وحيدها . فرثى لحالها وكتب رسالة الى حاكم حلب يستعطفه عليها باطلاق سراح ولدها . فحملت الرسالة وعادت الى بلادها ولكنها ابطأت بالجواب على الامير الذي امرها ان تخبره بما يكون من تأثير رسالته . فسار بشرذمة من عساكره الى حلب ليستطلع طلع الامر فالتقى بالمرأة عائدة مع ولدها الذي استبقاه الحاكم حياً ، قادمة اليه لتشكره ، وذلك عند بحيرة قدس المعروفة ببحيرة قطينة

---

[1] تاريخ الدويهي ، الذي طبعه رشيد الشرتوني ، ص ٢٠٥

قرب حمص . فسرّ بخلاص ابنها وردّ لها هداياها التي كانت تحملها اليه . — فهذه القصة ، وان كانت غريبة في بابها ، فهي ليست ببعيدة الوقوع لمن كان يتقد غيرة على مصالح بلاده ويتفنى في خدمة رعاياه .

وكانت ابنة الامير فخر الدين زوجةً للامير حسن بن يوسف باشا سيفا[1] . فلما استفحل العداء بين والدها وآل زوجها ، ولاسيا بعد ان رفض والدها هديتهم على اثر عودته من اوربة ، سمعت مرةً السيفيين اقارب زوجها يعيّرونها بقصر والدها . فطوراً يقولون : لو وقعت البيضة من جيبه الى الارض لما انكسرت . وتارةً : انهم يستطيعون ان يضعوه في جيوبهم بين مفاتيحهم . ونحو ذلك .

وفي احد اعراسهم قالت امرأة منهم هذه الاغنية من النوع المعروف بالزلاغيط (الزغاريد) :

جُونا الطوال يا نصلة السكّيني يا سالسله مذهّبه يا سيف علّي الدين
جونا القصار لا شور ولا تديري مثل الضفادع يقوا بقراني البير

فقالت لهم ابنته :

عيّروني بقصرك قلت سود التبر والمقصرخصر النزال والعنق شامخ شبر
قولوا لاهل الذكا قونوا لاهل الخبر ألقلم يجمع الدنيا ولوكان طوله فدر

فبلغ ذلك المعني فارسل اليهم قوله هذا :

نحنا زغار وفي عين العدوّ كبار اتوخشب حور نحنا للخشب منشار
وحقّ طيبه وزمزم والنبي المختار ما بعمّر الدير الا من حجر عكّار

وقد ترجم هذين البيتين المؤرخ تشرشل بك الانكليزي في تاريخه الى اللغة الانكليزية .

وعلى اثر ذلك نشبت حرب بين المعني وآل سيفا في عكار والحصن سنة ١٦١٨ . فدخل يوسف باشا سيفا قلعة الحصن برجاله وحوصر بها مدة . فهدم المعني دوره في طرابلس وعكار ونقل بعض حجارتها الصفراء الى دير القمر ،

---

١) سعى الامير المعني ، باشارة بعض اصحابه ، بمصاهرة آل سيفا ، فاعطى ابنته زوجة لحسن هذا ، وتزوج الامير فخر الدين اولاً بابنة يوسف باشا سيفا ثم بابنة عمها الامير علي سيفا . فكانت هذه المصاهرة زائدة في العداوة بينها بدلاً من المسالمة .

ولا تزال ظاهرة في ابنية المعنيين فيها كالخرج وغيره، فبر بقسمه.

ومع كل تلك المداوة، لما علم المعني بضايقة السيفي ورجاله لشدة الحصار عليهم ونمي اليه انهم سيموتون جوعاً لفراغ المؤن وانقطاع المدد عنهم، ارسل اليهم من فوره كل ما كان تحت يده من الميرة والطعام فانقذهم. وسنة ١٦٢٦ حدث غلاء شديد بيع فيه شنبل القمح في طرابلس الشام بثلاثة عشر غرشاً وربع، وذلك لكثرة ما شحن من الحنطة الى اوربة. وكان المعني في حوران فبلغه الخبر، فسخر الجمال ونقل عليها ثلاثة آلاف حمل حنطة الى دمشق وفرقها، وامر ان يكون رطل الخبز بقطعتين اي بارتين فرفع الضيق عن سكان البلاد.

وكانت هداياه الحكام المنسوجات الفاخرة والخيول المطهمة والاسلحة المجوهرة والمرصعة والصابون النفيس والدراهم الوافرة، وقد سالم العرب واتخذهم اعوانه. واتسعت تجارته في الحرير والصابون والمنسوجات فكان يحتكرها ويربح منها اموالاً طائلة. وسهل للتجار التوسكانيين والذين والوهم المرور في ثغور لبنان ومدنه الداخلية مما هو تحت حكمه فربح اموالاً كثيرة. وكان يستقرض الدراهم من التجار ويردها لهم من اثمان الحرير وغيره من ثمرات اعماله العمرانية.

وكثيراً ما كان يقول قبل سفره الى اوربة وبعده: «ان السلطنة ثقل تخم فكلما تملكنا بلاداً نتقوى برجالها واموالها وننتقل الى غيرها.»

ولقد قال عند سفره الى توسكانة مخاطباً عسكره وعياله: «انني اذا قدّر الله عليّ ووقعت في ايدي رجال الدولة. وقال لكم كبيرهم سلموا لنا القلاع حتى نطلق لكم اميركم فلا تعتمدوا قوله واحفظوا قلاعكم وشرفكم وناموسكم. ودعوهم يفعلون ما يريدون بعد ان تقيموا شرفكم.» وهذا يدل على بسالته ووطنيته وابائه.

ومن اعماله الخطيرة انه لما تولى محافظة ايالة طرابلس الشام سنة ١٦٢٧، انشأ قناة القاع وعمّر القليعات في جون عكار ونصب في سباخها (مغراقها) بعد تجفيفه اربعة عشر الف شجرة توت. وغرس بستاناً اكبر من هذا في محل آخر. وجفف ارض عتيق في البقاع ومستنقعات اخرى.

وكان قد ادخل بطريرك الموارنة الى جنوبي لبنان في مجدل المعوش سنة ١٦٠٩، وهو يوحنا مخلوف الاهدني، لما اشتراها هذا الامير من سكانها المتخاصمين باثني عشر الف غرش، فبنى البطريرك فيها داراً له وكنيسة واخذ ابناء طائفته يتقاطرون الى تلك الجهات. ورفع الضرائب عن سكان الشوف، فحفل بالسكان ولاسيما النصارى. وفض الخلاف بين بطريركي الروم الملكيين سنة ١٦٢٦، وهما اغناطيوس عطية، كاتب يده قبلاً، وكيرلس ابن الدباس، صديق آل سيفا، وعقد لهما مجمعاً في راس بعلبك. فثبّت عطية واسقط ابن الدباس، فازال اضطراب الطائفة.

وساعد الآباء المرسلين في تشييد دياراتهم وكنائسهم، ولاسيما الكبوشيون والفرنسيسكان، كما ساعد الوطنيين من كل المذاهب. واتخذ مدبريه وكتابه واعوانه من المسيحيين كالمشايخ الخوازنة والحبيشين والحاج كيوان نعمه من دير القمر وغيرهم. ووفق بين الاحزاب فاتفقت كلمتها على خدمة مصالح البلاد. وكثر المهاجرون الى بلادنا ومنها للتجارة. فكان تساهله هذا مستجلباً له محبة الجميع.

وكانت بينه وبين امراء توسكانة وغيرها مراسلات كثيرة تجارية وسياسية. وقد استنسخت كثيراً منها ونشرتُ كل هذا في مجلتي « الآثار » قبل الحرب وبعدها بشكل تبسط مع نشر رسم الامير وزوجته واحد فرسانه ومخيم عساكره في بيروت في ميناء الحصن. وارصدت الباقي لنشره في التاريخ المطوّل الذي اشرت اليه آنفاً.

صفاته واخلاقه ومنزلته

مرّ في تضاعيف كلامنا اشياء كثيرة عنه. ولكن الشيخ احمد الخالدي الصفدي الذي ارّخه بكتاب فصل فيه شؤونه في البلاد وفي اوربة، وبعدها قال يصف الامير فخر الدين وولده الامير علياً بما نصه من مخطوطتي:

« ان كلاً منهما ربع القامة، حنطي اللون، لطيف الهامة، مهاب جليل، ذو عطاء جزيل، يباشر تدبير مملكته بنفسه، ويضبط اموالها ويتقن امورها

بقوة حدسه . قوي العزم ، شديد الحزم ، حسن التدبير ، كما يعطف على الغني يحنو على الفقير . مطيع لله وللسلطان، يؤدي ما عليه من الاموال في كل آن. غير انه لا يسلم من حسود . فان كل ذي نعمة محسود . فما احقه بقول القائل الودود :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالكل اعداءٌ له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدًا وبغضاً انه لظليمُ» (اه)

والقافية الاصلية في آخر بيت هي « انه لدميمُ » وبما ان المعني كان دميم المنظر وقد عيّره بدمامته اعداؤه آل سيفا ، غيّر الكاتب الكلمة بقوله « انه لظليمُ » تأدباً منه مع مخدومه.

ووصفه وستنفيلد الالماني بقوله :

« انه كان متوسط القامة ، احمر الوجه ، برّاق العينين ، مبتسم الثغر. ».
والمشهور عنه انه كان قصير القامة ، دميم المنظر ، افطس الانف ، تقدح عيناه شررًا لشدة ذكائه ، حلو الصداقة ، مرّ العداوة ، شديد الصبر . فانه في اواخر ايامه كان قد فقد ولده الامير علياً قتلاً سنة ١٦٣٤ . وفقد والدته السيدة نسب التنوخية ، وكان الاول عوناً له في الحروب ، والثانية مساعدة له بسداد الرأي والدخول على الحكام . واوجس خيفةً على ولده الامير حسين الذي اختبأ مع مدبره الشيخ ابي نوفل الخازن في قلعة المرقب ، قرب اللاذقية ، من وجه جعفر باشا ، امير الاسطول العثماني الذي ارسلته الدولة لتدويخ المعني والاقتصاص منه . فأسر حسين وارسل الى حلب وانقطعت الاخبار عنه . وفوق كل هذا حبطت آماله من النجدة التي كان يتوقع ارسالها اليه من الفرندوق ، فكتب اليه معتذرًا عن القيام بوعده لاسباب اضطرارية . ورأى من مريديه ومحالفيه اعراضاً عن مساعدته وتهاملًا وتاهلًا في ارسال المدد . فتجالد مع كل هذه الكوارث واظهر من الضعف قوة ، ونقل من قلعة نيحا الحصينة المعروفة بشقيف تيرون الى قلعة جزين في وسط شالوفها (شلالها) المتدفق بمياهه من الاعالي ظانًا انه هناك في مأمن لا تصل اليه يد الحكومة . ولكن احمد باشا الكجك (الصغير) ، الذي رباه المعني واحسن اليه ، اهتدى الى مكمنه وقبض

عليه مع اولاده الثلاثة وعياله ورجاله وسلمهم لجعفر باشا المذكور آنفاً .

وكان المعني قبل هذا قد ادرك قرب الخطر المحدق به فارتأى ان يُودع ولده الامير منصوراً مع خزينته المحتوية على مليون ذهب عند سادات دي سيون وفرسان مالطة في حيفا فيرسلونه في احدى سفنهم الى اوربة . ولكن احد المقربين من المعني اقنعه بان يترقع معاضدة التوسكانيين التي وعدوه بها . فكان ما كان مما اوقع الفشل في اعماله وحبوط آماله .

اما مكانة الامير فخر الدين فكانت رفيعة العماد ، وهو عزيز القدر عند قداسة البابا وملوك اوربة وامرائها مثل لويس الثالث عشر ملك فرنسة وفيليب الثالث ملك اسبانية ، وقزما الثاني غرندوق توسكانة ، ومن جاء بعدهم من معاصريه . فزاره كثير من علماء الافرنج وقناصلهم ورحالتهم . وكان لديه قنصل لتوسكانة لمفاوضته بالشؤون السياسية والتجارية . وكانت هداياه الثمينة متوالية الى كبار الفرنج . وكان البطاركة والاساقفة والكهنة الوطنيون والمرسلون الاجانب اصحابه .

وسنة ١٦٣٠ التجأ اليه جان بولاد بن سعيد وولده رباح ، جدّا آل جنبلاط الحاليين ، فانزلها في مزرعة الشوف واحسن وفادتها لما كان بينه وبين اسلافها من الصداقة والمحالفة . وكذلك استقبل القناصل والتجار والاوربيين الذين تديروا البلاد . ورحل كثير من بلادنا الى بلدانهم للعلاقات التجارية ولبعض الصناعات الرائجة . واعاد مرسلي الافرنج الى فلسطين بعد ان كانوا قد تركوها منذ عهد بعيد وسهل لهم بناء الديارات والكنائس . وكان في باب المعني كثير من الكتّاب والشعراء الذين ملأوا الكتب بمدحه ومدح ولده الامير علي .

وفوق كل هذه العلاقات الوثيقة بيننا وبين الافرنج ، املى على مؤرخه الشيخ احمد الخالدي الصفدي كل ما رآه هناك بلغة عامية ، فدوّنه في تاريخه المخطوط المذكور قبلاً ، مشيراً الى دقّ البارود لحشو البنادق ، والى البنك وايداع الدراهم فيه واخذ فائدة للمال المودع . وذكر المطبعة واصفاً من اقدم المطبوعات العربية فيها قانون ابن سينا شيخ الاطباء وانه كان يباع لعهده بثمانية قروش . وافاض في طرق تجنيد العساكر وتعبئتها وآلات الحرب . وقال عن

اميركة : « الهند الجديدة التي فتحها سلطان اسبانية وان السفر اليها باثني عشر غليون (مركب) تذهب ومثلها ترجع بمدة ستة اشهر لجلب فضة الريال والبهار » مما نقلته الى مجاني الآثار بحواش وتعاليق ، فراجع مجلداتها الثلاثة قبل الحرب العامة ثم ما عربته في مجلديها بعد الحرب . الى كثير من امثال هذه المميزات التي اشتهر بها ، واخصها اصلاح مرافئ لبنان ومنع القرصان عن الاعتداء على التجار وتأمين طرق البر لترويج التجارة .

اما ما تركه ذلك العهد من علاقات الاوربيين ، ولاسيما التوسكانيين والبنادقة ، اللغوية في بلادنا فكثير من اسماء الأسر التي تديرت البلاد وبقيت فيها الى يومنا مثل تاسو ، وابيلا ، وكتافاكو ، وبيبنو ، وبريمو ، وبطاطو ، وبدارو الخ .

ومن اسماء الحاجيات مثل الدكتور ، والروشتة ، والسبيتالية ، والملارية ، في الطب والعلاج . والكومبانية ، والكمبيالة ، والبوليسة ، والكريدتو ، والكونتراتو ، والبروتستو ، والبنك ، والمانيفستو ، والكمبيو ، والبالة ، والنوترو ، في التجارة . واغرب من كل هذا ان الدلالين لا يزالون ينادون في بيع المزايدة (الحراج) بقولهم أونا . دُوَّا . تِرِي . وهي من اسماء العدد الطليانية . والجوكتّا ، والكبوت ، والبنطلون ، والصاية ، والبرداية ، والبالطو ، والفانلّا ، والكرافت ، والجونتي ، والتنورة ، والقلشين ، والكلسات ، والسكربينة ، من الملابس . وتابلو ، وكُرْنيته ، وفرتيكة ، وبستون ، وفرشاية ، وكبّاية ، وبنديرا ، وطاولة ، من الادوات . وروستو ، ومعكرونة ، ورشتا ، وكستلاته ، وبطاطه ، وبزلاّ ، وبنادوره[1] ، من المآكل . وكرّوسة ، وطنبرو ، وكاّرو ، من عربات النقل . وبريمو ، وسيكونتو ، وترسو ، من المراتب . وكازينو ، وبيزا ، من المشاريب واماكنها . والكبّا والديناري ، والسباتي ، والبستوني ، والريّا ، والأص ، من العاب الورق وتسمياته . واڤوكاتو ، وكوردون ، وبوسطة ، وبراڤو ، ودويلّو ، وسيكاره ، وانتيكه ، وكنتينا ،

١) اصل لفظها (بومي دورو) اي التفاح الذهبي ، واستعملته العامة اولاً « بادوره » ثم بنادوره .

وفَنترِيا ، وسكولا (مدرسة) ، وفتّيشه ، وصقالة واسكلة ، وبابور ، وبونت (تحريف بوند بمعنى الاسكلة) وبونو ، ومداما ، وباتنته (رخصة المركب) وبوما، وسنيوره ، من الاصطلاحات المختلفة .

وبعض الكلمات حرفت مثل أونطه بمعنى اخذ الشيء بالحيلة فهي من كلمة Adonta الايطالية ، والورديان من كلمة Guardiana بمعنى خفير . وليكو من Eccola بمعنى ها هو . وهي من استعمال عامتنا .

واخذ الايطاليون عنا الفاظاً الى لغتهم رأيت فيها كتاباً اتذكر مما فيه الآن بستاشيو (فستق) مركارتيّا (مرجان) ، جيرافه (زرافة) ، طاباتو (طنفسة) ، برُوكا (ابريق) ، كانابا (قنب) ، كنفورا (كافور) ، كاراوانا (كروان - قافلة) ، دمسكو (نسيج دمشقي) ، موصلينا (نسيج موصلي). وشيلوكو (الريح الشرقية) التي نسميها نحن (الشلوق) بلفظها الايطالي وهي تحريف (الشروق).

واهم ما كان من ذلك الاتصال مبادلة البضائع ووضع الدراهم في البنوك الاقتصادية التي كانت في عهده تفتح وتشتغل باذن الحكومة ومشارفتها ، ورأس المال هو مال الخزينة الملوكية او العمومية ، ومدير البنك عندهم هو اشبه بوزير المالية عندنا الان . وكان امراء آل مديسيس اغنى اهل زمانهم واول من اسس البنوك في الشرق لاعتنائهم بالملاحة والتجارة والمعاملات المالية[1].

---

١) كانت توسكانة امارة مستقلة في ذلك العهد وحاكمها يسمى الغرندوق (الدوق العظيم) وحاضرتها فرزنة ، ارتقت فيها الفنون حتى سميت « ابنة ايطالية » ومن مدنها بيزا المشهورة ، والعرب سموها (بيش) وسكانها (البيزان) وصفهم ياقوت الرومي في معجم البلدان قال : « ورأيتهم بالشام تجاراً ذوي ثروة » مما يدل على العلاقات التجارية القديمة معنا . والبندقية مشهورة وقناصلها وتجارها في بلادنا قدماء ، ولدي معاهدة تجارية بين سكانها وصلاح الدين الايوبي --- ولقد اندمجت هذه الامارات المستقلة وصارت تحت حكم ايطالية سنة ١٨٦٩ م .

انموذج من رسائل المعني

للمعني رسائل كثيرة في توسكانة وليفورنو وفلورنسة وغيرها بخطه وخط الحاج كيوان وكتّابه مدونة بسجلات وربائد (ارشيف)، وهي مفاوضات بينه وبين امراء تلك البلاد تجارية وسياسية استنسخت بعضها بواسطة من زارها هناك وعرفها، وضمنتها الى تاريخ المعني المطوّل، فاقتصر منها الان على رسالتين :

الاولى - ان فخر الدين كان عند عرب آل جبار من سلالة جعفر البرمكي الشهير وزير هارون الرشيد فكتب يخبر عن قتل احدهم الاخر بكل ايجاز فجاءت الفاظه تاريخاً لتلك السنة اذ قال :

« مدلج قتل شديد ولد احمد ».

فجمّل هذه الكلمات ذي مجموعه ١٠١٨ وهو السنة التي صار فيها القتل بالهجرية يقابلها بالمسيحية سنة ١٦٠٩.

والثانية - رسالة تجارية من الامير فخر الدين بخطه في مكتبة الاوفيشي في فلورنسة بالسجل ٤٢٧٦ والصفحة ٣٠٨ من مجموع رسائله في ذلك السجل، في الدار التي نزل فيها عند سفره الى اوربة، وهي الان مدرسة رهبانية. قال يخاطب الغرندوق فرديناندو الاول بما نصه بالحرف الواحد :

الى حضرة السنيور الغرندوكا والسنيوره مداما حفظهم الله تعالى

ان سألتم عنا وعن اولادنا الجميع بخير من الله وداعين لكم ان الله يعطيكم مرادكم . والقسيس ابرهيم الموراني[1] وصل لعندنا وهو داعي شاكر من احسانكم . الله تعالى يجعلكم دايين . وتذكرة البنك بالدراهم حق[2] الحرير وصلت الينا والمبلغ الذي باقي على يدكم حق اليسره[3] ما وصل الينا

١) هو ابرهيم الحاقلاني ترجمان ملك فرنسة وباباوات رومية، وسفير المعني، المؤلف المشهور توفي في رومية سنة ١٦٦٤ راجع المشرق (٢٨ [١٩٣٠] ١٨٦٠٠٠)

٢) حق تعني « ثمن » عند العامة.

٣) اليسره واليسرا واليسرى، كما كتب في الرسائل، هي خرز اسود يتخذ للسبحات (المسابح) كان الامير يرسلها مجلوبة من بلاد العرب للتجارة مع غيرها من الحاصلات الوطنية والمستجلبة .

فيكون نضركم على القس ابرهيم في خلاص المبلغ ويشتري لنا به جوخ وقماش على يد احد من قبلكم ويجيبوا معه . واما المبلغ الذي في البنك وصل لنا تمسكه[1] . يضل باقي لنا في البنك هو وفائدته في كل سنة اي زمان نحتازه نحن واولادنا يصال اليهم بفائدتـه على قدر السنين الذي بيقعد في البنك . وفي كل سنة تحسبوا فايدة الدراهم تكتبوها عندكم وتحطوها في البنك بالفايدة ولا يضيع لنا شي لان خاطرنا طيب بالله ربكم ولا تعوقوا القسيس ابرهيم يعاود لعندنا بالجوخ والقماش على قدر الدراهم الذي اعطاها من دراهمنا ثمن اليسرا والدراهم الذي اعطيتوها الى البربر[2] والى معلم الجسر[3] والى الخباز[4] سلمناها الى قنصلكم على يدهم وكتلنا لهم على الزمان القعدوه عندنا مثلما كتبتوا لنا . ما بقا لهم عندنا شي ابداً . واما معلم الجسر بعد باقي عندنا . ومتى ما تخلص شغله نكمل له اجرته ونوجهه الى بلاده . وخاطره فرحان . ونحن واولادنا واعيالنا داعيين لكم دائماً بالخير . ومرادنا ان نكون نحنا واولادنا داعيين في خاطركم على المحبة والصداقة الذي هي مامولنا ومرادنا دائماً على طول الدوام والزمان .

تحريراً في شهر ربيع الثاني سنة الف اثنين واربعين[5] محمدية .

(محل الختم)[6] خادمكم[7]

فخر الدين معن

---

١) كانت العامة تستعمل «التمسك» لما هو في عرفنا «الوصل». وهو التصريح بوصول شيء يتمسك به آخذه .

٢) لفظة ايطالية بمعنى الحلاق . ولكن المراد منها هنا الطبيب ، لأن الحلاقين عندنا كانوا يحجمون ويفصدون ويرسلون العلق ويصفون الادوية .

٣) المراد به المهندس ، وكان من اهم اعماله عندنا بناء الجسور لكثرة الانهار .

٤) يريد به صانع البقسماط للعساكر . وكان الامير قد جلب هؤلاء العمال معه ، ويطلبهم حين الحاجة ويبيدهم عند فراغهم مما يندبهم اليه وذلك للتحصين وتجفيف المستنقعات ، ومداواة الجرحى في الحرب وعمل المؤن العسكرية .

٥) توافق سنة ١٦٣٢ م

٦) كتب على ختمه «مفخر آل معن فخر الدين سنة ١٠١١» يوافقها من سني المسيح ١٦٠٢

٧) ويكتب احياناً (سرڤيتور) بالايطالية بمعناها . وكان الفرندوق يوقع لفخر الدين اسمه تحت كلمة (خادمكم) ايضاً .

خلاصة الكلام

هذه لمة مختصرة من تاريخ الامير الشهير فخر الدين المعني الذي نقل مدنية التوسكانيين الى بلاده ، وعزّز شؤونها الاجتماعية والعمرانية واستصرخ امراء توسكانة ليساعدوه على تحريرها ، فاعدّ له الغرندوق ستة الاف رجل من جيوشه المدرّبة ليرسلها اليه . فنشبت الحرب الثلاثينية بين فرنسة واسبانية (١٦١٨ — ١٦٤٨) فمنعته عن انجاز وعده . ثم خذله انصاره وكثرت نكباته ، فتحصن في قلاعه المنيعة مدة الى ان عيل صبره ونفدت قواه وذخائره . فقبض عليه احمد باشا الكجك (الصغير) وقتل في الاستانة في ٣ نيسان سنة ١٦٣٥ هو واولاده الثلاثة : منصور ، وحيدر ، وبلك . اما بكره الامير علي فقتل قبل ذلك . وبقي اصغرهم الامير حسين الذي مرّت ترجمته . فحري بنا بعد ثلاث سنوات اقامة حفلة لمرور ثلاثمائة سنة عليه .

ولما ضرب الاسطول الايطالي بيروت سنة ١٩١٢ م تذكرت انه قبل ثلاثمائة سنة ، اي سنة ١٦١٢ م ، ذهب المعني هذا مستصرخاً التوسكانيين لمحاربة الدولة . والان جاءت ايطالية بنفسها لتزالها ، فنشرت في مجلتي « الآثار » تاريخ المعني ورسمه معتمداً على اهم المصادر الاجنبية والعربية من مطبوعة ومخطوطة فملأ ذلك التاريخ ثلاث سنوات من المجلة قبل الحرب الكبرى ، وعدت الى ذكر شي مما فاتني في المجلة التي نشرتها بعد الحرب العامة في مجلدين ، بعد ان استقريت كل ما يمكن الوصول اليه فجمعت كل ذلك باشارة اصحابي في كتاب اعددته للطبع بصور نادرة ، وهو كبير الحجم لخصتُ منه هذه المقالة ، واليك ما اعتمدت عليه في مباحثي :

من التواريخ العربية المخطوطة : تاريخ الشيخ احمد الخالدي الصفدي ، وذيل الكواكب السائرة للغزي ، وابن سباط العاليهي ، والبوريني ، وغيرها مع وثائق ورسائل وتماثيل جمة . ومن المطبوعة : تواريخ القرماني ، والدويهي ، والمحبي ، والمرادي ، والشدياق ، والامير حيدر الشهابي ، وما نشرته المجلات كالمقتطف وغيره .

ومن التواريخ الافرنجية : تاريخ الابوين جواني ماريتي واوجين روجه ، وكاتافاكو ، من الايطاليين . ودي لاروك ، وڤولني ، ولامرتين ، ونومان وبيجه دي سان پيار ، وتقارير المسيو دي سيزي ، سفير فرنسة في الاستانة ، ومجموعة جان يودن ، والفونس دالنصو ، والشڤاليه ارڤيو ، وهيلر الكبرشي ، وهمر ، من الفرنسيين ووستنفيلد ، وبروتوس ، من الالمانيين . وجرج سندس ، وريشار نولس ، وهنري موندرل ، وتشرشل بك ، من الانكليزيين . وباسيلي ، من الروسيين . وتاريخ مصطفى نعيما ، وقاموس الاعلام لسامي بك ، من العثمانيين . والمعالم (دوائر المعارف) من المطبوعات والمخطوطات وما في سجلات الرهبان المرسلين ، وخزائن اوربة وغيرها .

***

هـذا هو الامير فخر الدين المعني الذي شغل الدولة العثمانية مدة طويلة يناصب رجالها ويسعى جهده لاستقلال البلاد وعمرانها ، والتبسط في الحضارة . فخذله ابناء وطنه ، وخدعوه بمواعيدهم العرقوبية ، وتجافوا عنه في ضيقته . ومن النكات التاريخية عنه : ان جده معناً هرب من الافرنج ملتجئاً الى حكام البلاد ، وهو هرب من العثمانيين ملتجئاً الى الافرنج . ومنذ ثلاثمائة سنة استنجد الامارات تحت حكم ايطالية الآن لمحاربة العثمانيين ، وبعد القرون الثلاثة حاربت ايطالية الدولة التركية . وجده فخر الدين قابل السلطان سليماً فاتح سورية ومصر ، اذ دخل دمشق في اوائل تشرين الاول سنة ١٥١٦ ، وكان جلاء الاتراك عن دمشق بعد الحرب الكبرى في ذلك الشهر بعد نحو اربعة قرون . رحمه الله عداد حسناته وما تركه لنا من المآثر الخالدة في بطون التواريخ مسجلة جهاده السياسي والعمراني .

العاقورة في التاريخ

حول كتاب جديد

بقلم الاب دميان رميا
، وكيل شركة « فيداس » البابوية ، ومراسل
جريدة « لاكروا »

ان روحاً مباركاً — يكاد يكون نهضة — يتغلغل اليوم في صدور الأدباء ويحدوهم الى العناية بالتاريخ الذي لا يزال ، رغم جهود المتقدمين ، موجزاً ومنفرط العقود. أجل ان بكورة هذه النهضة تغذي فينا شعور التفاؤل والأمل ، اذ ان كثيرين شرعوا ينشئون تواريخ ونبذات لمدنهم وقراهم ، فيتكوّن منها التاريخ الشامل . وقد ظهر مؤخراً «تاريخ العاقورة » للاب لويس الهاشم ، ينشر صفحة قيمة عن بلدته العريقة في القدم .

. . .

" تقع العاقورة في سفح جبل عالٍ بصرود بلاد جبيل ، شمالي فتوح كسروان وغربي بلاد بعلبك ؛ تراها ، وهي رابضة بين سلسلة من الجبال يعلو طرفيها جبلا موسى والقرن ، اقوى مناعة من حصون واستحكامات المدن الحديثة .

تفاخر هذه البلدة بآثار القرون الخوالي المبعثرة فيها ، هنا وهناك ، وبسكانها ذوي النفوس الوثابة والقلوب الجريئة ، المحافظين على عقيدة اجدادهم وتقاليدهم القومية الموروثة .

كانت اراضيها الشاسعة مغطاة في القديم بغابات كثيفة تتلاشى اشعة الشمس على اطرافها المتلاحمة ، وانما الطبيعة أبت ان تبقي عليها ، فزلزلت زلازلها وابتلعت بطون الوديان والبطاح مرات كثيرة القسم الاوفر من آجام الأرز واللزاب والدفران ... وان فؤوس البشر ظلت حتى الزمن القريب تقطع منها الاخشاب الثمينة .

نعم ان من اخشاب هـذه الجبال شيدت المراكب البحرية الاولى والمعابد والقصور: كسفن الفنيقيين والمصريين وسواهم، وهيكل سليمان، وقصور الفراعنة . . .[1]

وكانت كهوفها ومغاورها المديدة، قبل ان تعرف حضارة البناء، اي في العصور الظرانية، مسكناً لبني الانسان، وقبل الانسان ملجأ للكواسر والضواري .[2]

وكان الماقوريون حتى اواخر القرن التاسع عشر يتحصنون بها من غارات جيرانهم ومداهمات الغزاة .

. . . .

لقد مرّ بالماقورة كثير من الاعاجم، لاننا اذا ما توصلنا الى تفهم ضروب آثارها وكتاباتها وحلّ رموزها، نجزم بان طيطوس قيصر مرّ بها لمّا جا سورية في حرب «اليهودية» وكذلك ادريانوس ودوميسيانوس قيصر وغيرهم من قياصرة الرومان، وكلهم اصدر اوامره الصارمة الى سكانها . وقد عُثر — يقول المؤرخ — على مخطوطات قديمة تثبت ان الرومان قد منحوا الحقوق الرومانية بعض الماقوريين، ومن لم يشمله هـذا المنح كان يؤدي الضرائب الثلاث: الاعناق، والخراج، والمكوس . ويقول التاريخ انه لمّا تحكم ملوك الاروام بهذه البلاد واعتسفوا وكانت المواقع الدينية الملطخة بالدماء البريئة، تطاير الى الماقورة المنكوبون من سهول حماة وحلب وقنسرين، وهاجر اليها الجراجمة والأنبـاط وفصائل المردة، لان مراكزها الحصينة وقربها من السهول كانت تساعد على الغزو والحصر .

وكم حارب بنوها واللاجئون اليها — خصوصاً المردة — مغاوز الاروام وعصابات النهب والسلب وفازوا بها، وظلوا على هذه الحال حتى الفتح العربي اذ تحول التمرد الى انصياع للقوة، وبدأت شوكتهم بالاستكانة والتضاؤل، ولغتهم الآرامية السريانية بالتلاشي والتقلص[3] لاضطرارهم الى معرفة لغة الفاتحين

---

١) و٢) تاريخ الماقورة صفحة ٩ الى ٥٩

٣) صفحة ٥٩ — ٦٣

الحاكمين الذين ارادوا ، قبل ذلك ، تغيير العقائد الدينية ، مما جعل البلاد تتمرد غير مبالية بقوة الفارض وقساوة احكامه . . . وقد تجاوزت اصداء الاضطهاد والتنكيل في هذه المرة حدود الشرق الى اوربة فاسرع الفرنجـة المسيحيون لنصرة الضعفاء ، وربما لغاية اخرى ايضاً .

واذا ما ذكرنا الصليبين سجلنا لابناء العاقورة يداً بيضـاء ، لانهم تفانوا اكثر من سواهم في مقاومة المظالم وانخرطوا جميعاً في صفوف الافرنج وأمدوهم ما استطاعوا بالذخيرة والزاد .

خفقت اعلام هؤلاء زمناً طويلاً فوق اقطار الشرق ، فشيدوا ورمموا القصور والحصون ، وقد عززوا الحامية في العاقورة ، وخاصة في حصن المنيطرة . وقد انشئت في ايامهم اديرة كثيرة ، ودُقّت النواقيس النحاسية عوضاً عن الحديدية والخشبية .

قلنا ان العاقوريين اشتركوا مع الافرنج ، فظلوا من السنة ١٠٩٩ يحاربون الاعجام والبغداديين وأهـل الشام واعوانهم الى ان زحف في السنة ١١٦٥ نور الدين زنكي ، سلطان البلاد الشامية ، فكسرهم بعد مقاومة عنيفة ، واستولى على حصن المنيطرة[1] . . . ولم يفلّ هذا الاستيلاء عزم الافرنج وانصارهم بل تابعوا القتال الى سنة ١٢٤٥ .

. . .

وأمّ هذه البلاد بعد الصليبيين مماليك مصر واجتاحوها حتى الشمال ، فتجند الطرابلسيون ليمنعوهم من المرور ببلادهم ، واتصل بأهل العاقورة عزم مواطنيهم ، فهاجموا جيش المماليك معاً ليذودوا عن حياض وطنهم ، وبعد معارك حامية الوطيس هزموا المصريين شرّ هزيمة[2] .

وكذلك لما أنذر عسكر محمد علي باشا ، عزيز مصر ، سكان جبيل وأبوا الاستسلام ، فقـد وقف العاقوريون في مقدمة الجبيليين اصدّ غارة المصريين ، فدارت رحى القتال اياماً عُقدت لهم في النهاية راية النصر[3] ، فعادوا الى بلدتهم

١) تاريخ العاقورة صفحة ٦٣ — ٦٦
٢) « « « ٦٢ — ٧٥
٣) « « « ١٠٩ . . .

يؤذون الاستراحة ولكن ...

ولكن الزمان أبى ، والاتهم ، فكأنهم كانوا ليشتركوا في جميع اشواط العصور . وأثار روح خبيث سنة ١٨٦٠ دروز هذه البلاد على نصاراها في الجنوب ، وامتدّ لهيب النار الى مقاطعة بعلبك فدهم متاولتها العاقورة دون ان ينالوا من أهاليها . استفزّ الأمر أبناء الشمال فهبّوا يريدون القضاء على البعلبكيين ، وكادت النار تصل الى المشيم لو لم يمانع عقلاء البلاد ، وبالاخص العاقوريون الذين اظهروا وقتئذٍ حكمة وشهامة اذ هوّنوا الامر على احفاد المردة وأمّنوا متاولة كثيرين لاذوا بهم[1]

. . .

في السنة ١٨٦٦ قدم مارًّا بالعاقورة يوسف بك كرم فاحتفى به أهاليها كعادتهم في ذلك الوقت وعرضوا عليه المساعدة فأبى شاكرًا ، وكانت الحكومة مشددة في ان لا يساعده احد او يشدّ أزره ، فأوقفت بعض زعماء البلدة لايوائهم ذلك « الثائر » . ولكنها ، اي الحكومة لم تلبث ان أخلت سبيلهم لترسل جندها على حين غرّة ، غير ان الامر السري نُقل فورًا الى العاقوريين ، فأخلوا بيوتهم واعتصموا بالمغاور . ولما وصل العسكر ليلًا حتى اصلاه الرجال نار بنادقهم وباغتته النساء بدهورة الصخور والحجارة فاضطر الى الانهزام والتقهقر[2] .

. . .

ان العاقورة التي كانت من كبريات المدن في القرون الاولى ، وقبلة الغزاة ومحط رحال الفاتحين ، ومركز الخرافات الوثنية ، أمست فيما بعد مهدًا للمسيحية وأمًّا نثرت ابناءها في جميع نواحي سورية ولبنان ، وظلت كرسيًا لاساقفة الموارنة منذ فجر النصرانية حتى عقد المجمع اللبناني في السنة ١٧٣٦ .

كان العاقوريون الوثنيون يعبدون آلهتهم كالشمس والقمر والنجوم في الرياض والغابات ويقرّبون الضحايا على المشارف وقنن الجبال لتستنشق الآلهة رائحة ضحاياهم الذكية ! ... ثم اقاموا التماثيل لجوبيتر (اله الصواعق) وللأسد والنسر

---

١) صفحة ١١٨ — ١٢٠ ٢) صفحة ١٢١ — ١٢٣

(رمزي القوة والعظمة) وشيدوا المعابد للزهرة وابولون وأدونيس ... حتى ذرّ نجم الناصري واكتسحت انواره ظلام الخرافات والعقائد الباطلة .

* * *

ان هـذا الملخص يشغل بحق الجزئين الاولين من التاريخ اي نيفاً ومئتي صفحة، وقد خصّ حضرة المؤلف الخمسمائة الصفحة الاخيرة بأنساب الاسر ، المقيمة والنازحة والمتفرّقـة ، فانك لتجد سلسلة نسب لكل من قطن العاقورة ولو ربع جيل .

ولا عجب من وفرة اسرها ، فقد كانت في القدم موئل المضطهدين وملاذ المنكوبين ، وهمزة وصل بين الشواطئ الفينيقية والبلاد السورية ، كما كانت انطاكية طريق الاتصـال الكيليكيا بهذه الاصقاع من مياه المتوسط حتى داخلية سورية .

وانك لترى في هذا التاريخ صورة مصغرة للتاريخ العام لان المؤلف أجمل احياناً واطال فأفاد لانه :

ا ـــ جعل من التاريخ مقدمات وجيزة ، واستشهد بمؤلفات ثقة في معظم الفصول وفي حقيقة آثار بلدته فأوثق صلة نبذته التاريخية .

ب ـــ اوجد فائدة اعمّ في تلخيص الحوادث والحروب العامة ليرتكز على قواعد موطّدة في تدوين تاريخه المحلي .

ج ـــ اقتطف من كل ذلك دليلاً وحجة يزيلان كل ريب من النفوس بل يدفعانها لمطالعة « المؤلف » بلذة وامعان .

فالمؤرخ قد قضى وقتاً ، ولا شك طويلاً ، وبذل جهوداً جمّة في التنقيب عن الوثائق والحجج والادلة ، ان في ما كتب عن هذه البلاد او في استطلاع آراء ذوي الاختصاص عندنا ، حتى استطاع ان يملأ نيفاً وسبعمائة صفحة ، محررة بلغة بسيطة وجرأة في النظريات والاستنتاج لا بأس بها . خلا بعض مستندات زائفة وثلاث صفحات تستوجب الملاحظة :

١ ـــ صفحة بيضـاء او سوداء ، وهي التي كان يجب ان تتحلى ببعض الرسوم والرموز او بقايا أثرية قيمة ، لكن شيئاً من ذلك لم يكن سوى « ورقة »

تدل على كتابة قديمة الصقت في بطن التاريخ المذكور ، لا قيمة لها وحدها وكما هي .

٢ — صفحة متقطعة الاوصال وغير متناسبة وهي ان لا يكون التقسيم او التبويب والاحكام بين حلقات الازمنة والعهود اقل احتباكاً وتعميماً وندرة واكثر دقةً وجلاء ، وان لا يتبسط المؤرخ ويسهب في بعض نقاط اوجزها او مرّ بها مروراً . فهل لضعف الادلة والحكم او لنقص في الحجة والوثيقة ؟! .

٣ — صفحة زائدة او مزيفة وهي التي نجدها في معظم ما دوّن من مثل هذه التواريخ الجزئية . قد يسيء المؤلفون بها الى التاريخ اذ يتبسطون في ذكر الاحياء ويوجزون في عظام ونوابغ الاموات الذين استحقوا عطف التاريخ . ويؤلم الضمير ان يرى صفحة جليلة تملأ بغير عظمة المتقدمين .

ومع ذلك نثني على كل الجهود التي من شأنها خدمة الآداب التاريخية ونخص مؤلف تاريخ الماقورة[1] الذي ادّى لبلدته بل لبلاده وللتاريخ خدمة جلّى . ونتمنى ان يحرص المؤرخون على الجرأة الادبية والحقيقة المجرّدة ، لان التاريخ هو صفحة الحياة المقدسة تتناقلها العصور وتحكم بها لنا او علينا .

١) يباع هذا التاريخ عند السيد يوسف رعب : شارع غورو — طريق النهر



الرُّتَب الكهنوتيّة

في الطائفتين المارونيّة والسريانيّة

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

٦

٦ً طقس سيامة الحبر (تابع)

عند سيامة الاسقف يدخل البطريرك مع اسقفين الى مقصورة البيعة ، وقد انقضت صلاة الساعة الثالثة ، ويرخى السجف او يغلق الباب . فيقبل المنتخب يمين البطريرك قائلاً : بارخمور . وحينئذٍ يجعل البطريرك قلنسوة جديدة على راس المنتخب ويلبسه القميص والبطرشيل العريض والزنار والكمين والمصنفة والغفارة[1] ثم يجثو البطريرك ، ويجثو معه الاساقفة احتراماً له امام المنتخب ، فيقول له البطريرك بالسريانية : « روح القدس يدعوك لتكون اسقفاً على مدينة كذا » . فيخرّ المنتخب على وجهه ساجداً بين يدي البطريرك ، قائلاً بالسريانية : « سمعاً وطاعة » . فيسمه البطريرك في جبهته بسمة الصليب قائلاً : « ليباركك الرب » الخ . فينتصب المنتخب قائماً الى جانب المذبح[2] . ويبدأ البطريرك بالقداس . وعند وصوله الى الرفعة يغسل اصابعه كالعادة وينزع اسقفان عن المنتخب الغفارة ويقدّمانه نحو المذبح ضاماً يديه الى صدره . ويستوي البطريرك على عرشه ، ويحفّ به اسقفان من الجانبين ، ويبدأ بالصلوات والمزامير[3] والالحان قائلاً بالسريانية : « المجد للآب » الخ . ثمّ : « اهلنا ايها المسيح الهنا » الخ . ثم : وطّد يا ربّ بيعتك » الخ . فمزمور « ارحمني يا الله » وابياته . فالحتاي : « للملك

١) يعوّض عن الغفارة في الطقس السرياني بطيلسان احمر يلقيه البطريرك على هامة المنتخب

٢) الاسقف السرياني يقف محتجباً وراء المذبح

٣) لم يثبت السمعاني الا مزمور « ارحمني يا الله » . وقول المجمع اللبناني « المزامير » يشير الى ما يتلى من المزامير والالحان عادة في اول الرتبة .

الملوك وسيّد السادات » الخ . فاربعة ابيات سريانية بلحن ܐܠܐ ܐܠܐ . فالعطر : « اقبل يا رب برحمتك وعطفك الخ . »[١] . وينادي الشماس المناداة . ويصلي البطريرك سرًا : « يا ربّ القوات » الخ . ويجهر : « واقبل برحمتك »[٢] .

ويطوف اذ ذاك بالمنتخب اسقفان حول المذبح . واذا وصلوا الى الناحية الجنوبية يجثو المنتخب على ركبتيه ، ويأمره البطريرك ان يقرأ صكّ اليمين وصورة الاعتراف بالايمان اعني الامولوغيا ويكون قد سبق المنتخب فكتبه بخطّ يده فيقول : « انا الحقير فلان بن فلان المنتدَب بنعمة الله من درجة القسيسية الى درجة الاسقفية » الخ . وعند نهاية من قراءته يختمه بامضائه ويدفعه الى السيّد البطريرك ليصونه في الخزانة البطريركية .

وبعد هذا يمسك احد الاسقفين بيمين المنتخب والآخر بيساره ويأتيان به نحو البطريرك ، ويقول له احدهما : « نقدم لقداستك » الخ . فيأمره البطريرك فيجثو على ركبتيه ، فيضع البطريرك يمينه على راس المنتخب قائلًا : « النعمة الالهية » الخ . ويختمها بقوله ثلاثًا : « امنحه يا رب » الخ . وينادي رئيس الشمامسة المناداة .

ثم يضع البطريرك يديه على الجسد وعلى الدم الخ . كسياميذ الشماس والقس ويصلي سرًا : « نعم ايها الرب الاله اهله لدعوة الاسقفية » الخ . ويجهر : « ويجد الرحمة » . ثم يلتفت نحو المنتخب ، ويرف فوق هامته ، وينشر اسقفان كتاب الانجيل مفتوحًا عند الفصل العاشر من يوحنا[٣] فوق يدي البطريرك ويلوّح الشمامسة بالمراوح فوق كتاب الانجيل . فيرفع البطريرك يديه ويبسط ذراعيه ثلاثًا فوق راس المنتخب ويصلي سرًا : « اللهمّ يا من زيّن بيعته بهؤلاء الاحبار » الخ . ويلتفت الى المذبح ويجهر : « بنعمتك ورحمة » الخ . ثم يقول : « السلام لجميعكم » . ويقول الاكليروس : « ومع روحك » . ثم يجعل يده على الاسرار وعلى راس المنتخب ويتبع قائلًا : « يا اله الالهة وسيّد السادات

---

١) وردت هذه الصلوات باجمها في طقس سياميذ القسيس .

٢) هذه الصلاة منقولة عن رسامة القارئ والرسائلي .

٣) يفتح الانجيل عند الفصل الرابع من لوقا . الدويهي : ١٦٥

المحتوي على المركبة » الخ . فيهتف كبير الشمامسة : « فلنقف كلنا بالصلاة » الخ[١] . ويضع البطريرك يده على الاسرار وعلى راس المنتخب قائلاً سراً : « تباركتَ ايها الرب الاله » الخ . ثم ينهضه ويرفع الاسقفان كتاب الانجيل فيلتفت البطريرك الى المذبح ويقول : « ألقِ اللهمَّ الينا سمعك » الخ . ويلتفت نحو المنتخب ويضع يده على راسه قائلاً : « انظر الينا في هذه الساعة » الخ .

وحينئذٍ تكون الدورة فيمشي القسوس والشمامسة بحسب العادة . ثم يمر احد الاسقفين حاملاً إناء الميرون ، والآخر كتاب الانجيل ، ثم المنتخب حاملاً صليبين احدهما بيمينه والآخر بشماله . ويطوفون في الكنيسة ثلاثاً وينشدون اولاً : ܒܪܝܟ ܝܩܪܗ ܕܡܪܝܐ ܡܢ ܐܬܪܗ الخ . وثانياً : ܟܗܢ ܠܡܫܝܚܐ ܐܠܗܐ الخ . وثالثاً : ܗܘܝ ܠܗܟ ܡܫܝܚ الخ . وعند نهاية الدورة الاولى يجثو المنتخب على ركبتيه امام البطريرك فيصلي : « بسلطان كلمتك » الخ[٢] .

وعند نهاية الدورة الثانية يخرّ المنتخب على ركبتيه امام البطريرك ، ويمسك الاسقفان بكتاب الانجيل مفتوحاً فوق راسه ، ويلوّح الشمامسة بالمراوح فوق الانجيل . فيمدّ البطريرك ذراعيه تحت الكتاب ويرفّ بيديه ثلاثاً فوق راسه ويصلي : « ايها الرب خالق الجميع » الخ .

وفي نهاية الدورة الثالثة يدخلون جميعاً الى المذبح . فياخذ البطريرك الصليبين من المنتخب ، وهذا يجثو على ركبتيه ، فيدفع اليه البطريرك كتاب الانجيل مطوياً وهو يقول : « يا ملك الجميع الله الآب » الخ . ثم يأخذ منه الانجيل قائلاً : « انت ايها الرب الاله الضابط الكلّ » الخ . وفي هذه الصلاة يذكر الاباء الاولين كهابيل وشيت وآنوش الخ .

---

١) لا اثر لهذه الكرازة في النسخ المارونية (دريان : ١٠٠ و ١٠١) والكرازات في سياميذ الاسقف يجب ان يتلوها الاساقفة لا رئيس الشمامسة .

٢) نص المجمع اللبناني (٢٧٦) والنسخ القديمة ان الاساقفة جميعاً يضعون اليد مع البطريرك على راس المنتخب ويتلون معه : « بسلطان كلمتك » الخ . وقد ذكر اقليميس الروماني (عدد ٢٠) ما يؤيد ذلك . اما في الطقس السرياني فلا يتولى وضع اليد الّا البطريرك وحده .

ثم يمسح البطريرك راس المنتخب ثلاثاً بالميرون شكل صليب قائلاً : « ارتضِ الآن ايها الرب المنا » الخ . ثم يدهن راحتيه بالميرون ايضاً راسماً خطين احدهما من ابهام يمين المنتخب الى سبابة شماله والآخر من ابهام شماله الى سبابة يمينه . ثم يضم هو يدي المنتخب كلتيهما قائلاً : « وامنحه ايها الرب القادر » الخ . ثم يقول البطريرك : ܐܠܗܐ ܘܐܒܘܗܝ ܕܡܫܝܚܐ الخ . ويتلو رئيس الشمامسة : ܒܪܝܟ ܡܫܒܚܐ الخ . وتقرأ الرسالة من (عبر ٤ : ١٤ — ١٦ و٥ : ١) . وينشدون الهلال : ܐܝܟܢܐ ܕܡܫܚܐ الخ . ويرتل البطريرك الانجيل من (يو ١٠ : ١ — ٢١) . ويغسل البطريرك يديه والمنتخب راسه ويديه . وينشد رئيس الشمامسة : « ايها المسيح اله جميعنا » الخ .

وبعد هذا يضع البطريرك يمينه على راس المنتخب الجاثي على ركبتيه ، ويسمه ثلاثاً بسمة الصليب ، وينادي بصوت رخيم بالسريانية : ܡܬܡܢܐ اي يرتقي في بيعة الله المقدسة . فيردف احد الاساقفة : « فلان اسقفاً لبيعة المدينة الفلانية . الرعية المباركة » . فيقول البطريرك . « فلان اسقفاً لكنيسة الارثذكسيين المقدسة التي سبقت فاشتهرت » . فيقول الاساقفة : « بارخمور » . فيتلي البطريرك : « بسم الآب ✝ والابن ✝ والروح ✝ القدس الى ابد الابدين » . وعند ذكر كلّ من الاقانيم المقدسة يقول الشعب : آمين .

ثم يمسكه البطريرك بيمينه وينهضه قائلاً : « كيريولوجيون »[1] . فيجاوب الشعب : « قورياليون » وحينئذٍ يفيض البطريرك على الموسوم الغفارة قائلاً بالسريانية : « لمجد واكرام » الخ . وينشد الترنيمة عينها ويلبسه التاج ويقيمه في الترنيمة الاساقفة ولفيف الاكليرس .

ثم يجلسونه على كرسي جميل ، ووجهه الى الغرب ، فيحمل الكرسي الاساقفة والقسوس ويرفعونه ثلاثاً ويهتف البطريرك : « اكسيوس » ويجاوبونه كذلك . ثم يدفع البطريرك الى الموسوم عصا الرعاية قائلاً بالسريانية : « عصا العز » الخ . ويصرخ الاساقفة والقسوس مثله . ويصلي البطريرك : « ايها الرب

١) ذكر العلّامة السمعاني ان احد الاساقفة يقول كيريولوجيون ثلاثاً .

الذي اعطى موسى » الخ . ثم يأتي به الى المذبح ويكل اليه التطبيخ ، ويوليه الرئاسة على جميع الكهنة والشمامسة والكنيسة ، وعلى جميع الاسرار ، ويوصيه جهرًا قائلًا : « حبيبي ها انا ذا اقول لك » الخ . ثم يلتفت الى المذبح ويتلو صلاة الشكر : « نشكرك ايها الرب يسوع » الخ . ويختم : « ايها الآب الصالح الرحيم » الخ .

ثم ان الاسقف الجديد يقبّل المذبح ، ويمين البطريرك . فيقبّل البطريرك والاساقفة وجهه ، والاكليروس يلثمون يده[1] .

ونكرّر ان رتبة سياميذ الاسقف هذه في الطقس الماروني مقتضبة من الرسامات الصغيرة او المقدّسة كما يتضح جليًا لمن يعارضها . اما سياميذ الاسقف في الطقس السرياني فهو ذات سياميذ البطريرك كما المعنا ، ما عدا صلاة دعوة الروح القدس المنسوبة الى اقليميس الروماني ، وتسليم العصا البطريركي ، كما سنذكر .

رتبة تبريك البطريرك

البطريرك ܦܛܪܝܪܟܐ ، ويقال له ܐܒܐ ܕܪ̈ܝܫܐ ابو الرؤساء ، وابا ܓܘܢܝܐ الاب العام ، وتُسمّى رتبة تبريكه ܫܘܡܠܝܐ ܕܫܘܡܠܝ̈ܐ او ܫܘܡܠܠܐ ܕܫܘܡܠܝ̈ܐ كمال الكمالات ، لانها خاتمة الرتب والتبريكات الكهنوتية .

ورتبة سياميذ الاسقف وتبريك البطريرك واحدة في الطقس السرياني ، الّا انها تمتاز عن سياميذ الاسقف بثلاثة امور ، على ما جاء في النصوص المارونية والسريانية ، وهي ١ً : ان البطريرك يُنتخَب بقرعة جميع الاساقفة او بتسليمهم العام لانه ابو الآباء والاب العام للبيعة بأسرها . ٢ً : بصلاة دعوة الروح القدس المنسوبة الى اقليميس الحبر الروماني . ٣ً : بتسليمه عصا الرعاية ، اذ يمسك بها كلّ من الاساقفة معًا يدًا فوق يد ، حسب مقامهم ، ثم يأخذون يمين المنتخَب

---

١) الدويهي : ١٦١ و١٦٢ .

ويضعونها فوق ايديهم جميعاً ويتركونها بيده . وعليه فعندما يكتب البطريرك صك ايمانه ويتلوه وقت التبريك لا يتعهد فيه بالطاعة والانقياد لمن يرسمه كما يفعل الاساقفة ، لانهم لا سلطان لهم عليه .

وقد اثبت المجمع اللبناني (٤٢٣ — ٤١٣) ومجمع الشرفة (٢٣٥ — ٢٤٩) حقوق البطريرك وسلطانه ، وامتيازاته ، وواجباته ، وزيه ، ومركزه . واخص ذلك : ان للبطريرك الماروني والسرياني حق التسمية بالبطريرك الانطاكي . وله المقام الرابع بعد الحبر الروماني . ويتقدم على جميع جثالقة كنيسته ومطارنتها واساقفتها . وله ان تسير امامه راية الصليب في ابرشيات طائفته جماء . وينادى باسمه بعد الحبر الروماني في القداس والطقوس والفروض القانونية . وله ان يرسم الجثالقة والمطارنة والاساقفة التابعين لبطريركيته . ويباشر الرتب الحبرية في جميع كنائسهم ، ولو بحضورهم . وللبطريرك ان يفرض اعياداً واصواماً . ويفحص كتب الرتب الكهنوتية والفروض البيعية ويهذبها ويضيف اليها او يحذف منها . ومن حقوقه الخاصة ان يكرس الميرون ، والكنائس ، والمذبح (الطباليث) ، او يفوض في ذلك الى احد اساقفته . وله ان يعقد مجمعاً مؤلفاً من جميع مطارنة بطريركيته واساقفتها . ويسن قوانين يلزمهم بالعمل بها . ويبعث اليهم بمناشير يذيعونها في كنائسهم . وله ان يزور الابرشيات ، ويراقب اديار الرهبان والراهبات . ويستأنف النظر في جميع الدعاوي فيؤيدها او يبطلها . وله ان يحفظ لنفسه مسائل لا يستطيع ان يحل منها المطارين والاساقفة . وله ان يطالب مرؤوسيه كافة بالعشور . انما ينبغي ان لا ياتي شيئاً خطيراً مهماً بالاستئثار ، من دون مجمع اخوته الاساقفة والمطارنة ، كما لا يسوغ لهم ان يباشروا شيئاً من ذلك بغير معرفته . وينبغي كذلك ان يزور في كل عشر سنين الاعتاب الرسولية بنفسه او بمعتمده ، ويؤدي له حساباً عن وظيفته الرعوية الخ .

اما زي البطريرك العادي فكزي الاساقفة ، الا انه يمتاز عنهم بالثوب الارجواني ، والجبة البنفسجية ، وبمسك العصا اينما كان . اما زيه البيعي فكزي الاساقفة ايضاً ، غير انه يمتاز عنهم بالتوشح بالپاليوم ، اي الدرع ، الذي يمنحه

اياه الجبر الروماني تثبيتاً له في منصبه ودلالةً على بسطة الوظيفة الحبرية[1] .

اما المركز البطريركي فقد تحول عند كلتا الطائفتين من بلدة الى بلدة ، حتى اصبح اليوم مركز البطريرك الانطاكي الماروني في بكركي شتاء وفي الديمان صيفاً. وامسى مركز البطريرك الانطاكي السرياني في بيروت. وللبطريرك ان يتخذ له في مركزه اسقفاً او اسقفين بمنزلة معاونين او نائبين يتولى احدهما الامور الروحية ، والآخر الشؤون الدنيوية .

انتخاب البطريرك

اما كيفية انتخاب البطريرك فقد اثبتها كلا المجمعين على حدّ سوى . ذلك من حيث المكان والزمان واجتماع الاساقفة والقاء القرعة . وخلاصة ما قرّراهُ : ان لا ينتخَب بطريركاً الّا من اتى على الاربعين من سنّه ، وترقّى الى درجة القسيسية المقدسة على القليل . ولا يتم انتخابه الا باصوات الحاضرين من الاساقفة . وتكون الآراء سرّية مطوية في رقاع مسجلة ختماً وتوقيعاً من كل واحد منهم . وعند فتحها وتلاوتها لا يُباح باسماء المنتخِبين.

ومتى تمّ فحص القرعة ، وكان الانتخاب شرعياً بالقرعة او بالصوت الحيّ ، لزم رئيس المجمع او كبير الآباء ان يعلنه بقوله : « ايها الآباء الفائقو الاحترام قد أتينا على فحص القرعة فألفينا هذا المجمع المقدّس مجمعاً على انتخاب السيّد فلان السامي الاحترام أباً وبطريركاً . وعليه فاني اعلن باسم المجمع كلّه وبالسلطان المفوّض اليّ منكم جميعاً واشهد ان الانتخاب قد اصاب السيد فلان السامي الاحترام فهو ابٌ وبطريرك لنا كلّنا وللطائفة بأسرها » .

وبعد هذا يتقدم الرئيس بالاسقفين وكاتبي الاسرار الى المنتخب ، فيجثو

١) الدرع البطريركي او الاموفوريون على ضربين احدهما منسوج من صوف ابيض معلم بصلبان سوداء يوليه البابا الروماني للبطريرك فيتوشح به في المواسم. والآخر عريض طويل على شكل البطرشيل الحبري الكبير منسوج من حرير موشى ومعلم في الغالب بصلبان حمراء . وهذا يتقلده البطريرك بعد نصبه حالاً لانه من جملة الملابس البطريركية في جميع الاحتفالات المقدّسة كل مرة اشتمل بالملابس الحبرية (المجمع اللبناني ٤٣٩) اما السريان فان اساقفتهم وبطريركهم يتوشحون دائماً بالاموفوريون كلما قرّبوا الذبيحة الالهية ، او احتفلوا بالاحتفالات البيعية .

بين يديه قائلاً : « ان الروح القدس يدعوك لتكون بطريركاً على انطاكية الكبرى وعلى كل خطّة سدّتها الرسولية اي اباً لجميعنا » . فيجثو سائر المنتخبين وكاتبا الاسرار وعندها يجثو المنتخب ايضاً ويصلي قليلاً ثم يجاوب : « اني راض مطيع » . ثم يقوم ويلبسونه ، ان كان اسقفاً ، النفارة (والاموفوريون) وصليب الصدر والتاج . ويدفعون اليه الصليب والعكاز فيسير بين كبيري الآباء ويستوي على العرش الى يمين المذبح ويتقدم الاساقفة بالترتيب ويقبلون يمينه . ويحرر كاتبا الاسرار صك الانتخاب والقبول فيوقع عليه جميع المطارنة والاساقفة المنتخبين بخط يدهم ويحفظون الصك في الخزانة البطريركية .

ثم تُفتح الابواب ويعلن كبير الشمامسة بأمر الانتخاب فينحدر المنتخب من على العرش ويقف امام المذبح المتوسط ويحف به الاساقفة . فيشرع كبير الشمامسة في الطقس الماروني بترتيل المزمور[1] « يستجيب لك الرب في يوم الشدة » ويتبعه الباقون منقسمين الى جوقين . وعند الفراغ يطأطئ المنتخب رأسه امام المذبح ثم يلتفت اليهم وهم جاثون ويباركهم[2] . ويقفون ويقبلون يده بالتتابع ثم يخرجون من الكنيسة بالاناشيد الى القلاية البطريركية . ويضرب المنتخب اقرب يوم من الآحاد والاعياد التالية موعداً للاحتفال بنصبه .

وعند الفراغ من التنصيب ، يرفع الاساقفة في ذلك عريضة الى الحبر الروماني مذيلة بتواقيعهم ويستعطفونه ليصدق على الانتخاب بسلطانه الرسولي ويثبت المنتخب ويبعث اليه بالباليوم . وينبغي ان يكتب المنتخب ايضاً الى الحبر الاعظم رسالة موقعة بخط يده ومختومة بالطابع البطريركي يضمنها صورة نص اعترافه بالايمان الارثوذكسي ومعرفته اياه خليفة للقديس بطرس ونائباً للمسيح الرب في الارض ، وكرسيه الاعلى ، ويبدي له الطاعة التامة ، ويسأله تثبيت انتخابه ونصبه ، وارسال الدرع اليه .

(له صلة)

---

١) الاكليروس السرياني ينشد [illegible]

٢) المنتخب الماروني يفيض على الحاضرين الحلة العمومية قائلاً : « ليرحمكم الله ويغفر ذنوبكم » الخ . اما المنتخب السرياني فيقول [illegible] الخ . وهي خاتمة الصلوات الفرضية .

صفحة ذهبية من تاريخ لبنان

البطريرك اللبناني

الياس بطرس الحويك

بقلم الخوري منصور عوّاد عوّاد

٦

موقف البطريرك من الكنيسة

« نؤمن بالهٍ واحد ... وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية ... »

ان الالفاظ والكلمات الاولى التي طرقت مسمع الطفل الياس الحويك ، عهد كان لا يزال على ذراع والدته غرّة في حلتا ، يوم لم يكن يفهم جيداً معنى الكلام ، كان فعل الايمان الحيّ بالله وبكنيسته تتلوه في الغدوّ والاصال تلك الوالدة المارونية التقية بتلاوة قانون الايمان . وترعرع الياس فكان اول ما زار كنيسة حلتا فظنها « الكنيسة الواحدة » التي كانت تترنم باسمها والدته والتي كان فيها ابوه كاهن الرب وخادم النفوس ، فاذا بابيه يشرح للرعية « قانون الايمان » ففهم ان هذه الكنيسة هي صورة رمزية مصغّرة لكنيسة الله الجامعة التي هي جماعة المؤمنين بالمسيح وببيعته وباسراره وبتعاليمه وبرئاسة نائبه على الارض بابا رومية .

لم تقع لحاظ الطفل الياس عندما فتح عينيه على ما حول حلتا من اودية وهضاب وجبال ، على بلدٍ مأهول ، قبل ان وقعت على كفرحي ، مهد البطريركية المارونية في لبنان، فهي تجاه حلتا وعلى رمية حجر منها ! في كنيسة حلتا عرف من والده الخوري بطرس ان القديس بطرس زعيم الرسل ونائب السيد المسيح « الصخرة » التي عليها أسس مخلص العالم ابن الله كنيسته ، قد أسس ، بعد صعود الرب يسوع الى السماء، الكنيسة الانطاكية في انطاكية

وترأسها بنفسه سبع سنوات ، وانه انتقل من هناك الى رومية وأسس كرسيّه الدائم كرسي الرئاسة العامة على بيعة الله في عاصمة الرومان ، وان الموارنة تعلقوا بالكرسي الروماني تعلقاً متيناً بما ان الجالس عليه هو رأس الكنيسة المنظور وخليفة القديس بطرس مؤسس كنيستهم الانطاكية ، وانه في سبيل هذا التعلق والاتحاد في العقيدة سفك ثلاثمائة وخمسون راهباً من رهبان القديس مارون دمهم ، فختموا الحب والاعتقاد القويم بالعمل وبالدم . وانهم ، بسبب الاضطهاد الذي وقع عليهم لاجل ايمانهم المستقيم ، هربوا الى جبال لبنان الصخرية القاحلة ولاذوا بمغاورها وكهوفها للمحافظة على معتقداتهم سليمة من الشوائب، وان القديس يوحنا مارون عندما انتُخب بطريركاً شرعياً على كرسي بطرس الانطاكي نقل كرسيّه الى كفرحي في لبنان فتيسّر له صيانة قطيعه ورعايته في مأمن من الاضطهاد.

ما بلغ الياس الادراك التام حتى عهد به والده الى مدرسة مار يوحنا مارون الاكليريكية في كفرحي فتلقن فيها تاريخ الموارنة وعرف ان امجادهم تنحصر في اتحادهم المستمرّ بالكرسي الروماني دون انقطاع . فكانت التقاليد المارونية الدينية تنمو فيه بنموّه عقلاً وجسماً. وازداد معرفةً بالكنيسة ، وبرومية امّ الكنائس ومعلمتهن، في مدرسة الاباء اليسوعيين في غزير طيلة السنين التي قضاها في تلك المدرسة الاكليريكية بين آباء واكليريكيين ينتمون الى طوائف كاثوليكية شرقية عديدة، والى الطائفة الغربية اللاتينية اكبر الطوائف واعظمها في بيعة الله.

وقد تدرّج في تلك المعرفة والمحبة تدرجاً بعناية ربّانية خاصة ، وعندما اوشك ان ينجز دروسه في مدرسة غزير قيّضت له عناية الله ان يُبعَث الى « مدرسة انتشار الايمان المقدس » في رومية فانتهى اليها وانضمّ الى طلّابها سنة ١٨٦٦، وبقي فيها الى سنة ١٨٧٠ مكتملاً فيها دروسه اللاهوتية والقانونية والتاريخية عائشاً في ظلّ كرسي بطرس برفقة طلّاب الكهنوت الوافدين الى رومية من جميع جهات العالم. فادرك بالحسّ والاختبار ما معنى كلمات «الكنيسة الواحدة الجامعة » التي كان يسمعها من فم والدته في عهد طفوليته !

ثم عاد الى لبنان كاهناً تخصص لخدمة الطائفة المارونية في خدمة البطريرك العظيم بولس مسعد ، فتمرّس في البطريركية على معرفة التقاليد المارونية معرفة عملية. وما زال ذلك دأبه حتى سيم اسقفاً ، ثم ارتقى الى السدّة البطريركية. فلا نغالي اذا قلنا عنه انه كان صورة حيّة لتاريخ الطائفة المارونية في ايمانه بالله وبكنيسته وفي تعلقه بالكرسي الروماني.

اننا نقرأ تعلّق البطريرك اللبناني بالكرسي الرسولي في منشوره الاول الذي اذاعه فور ارتقائه الى السدّة البطريركية ، في شباط ١٨٩٩ ، وكان ذلك المنشور بمثابة البرنامج لبطريركيته فقد قال فيه موجهاً الكلام الى ابناء طائفته :

« وفي الختام ، نرغب ونوصيكم بالرب ، ايها الاخوة الجزيلو الاحترام والابناء الاعزاء ، ان تداوموا المحافظة التامة على امرين خطيرين طالما حافظت عليها طائفتنا وكانا موضوع مجدها وفخرها : احدهما ديني وهو إخلاص التعلّق بأمنا الكنيسة الرومانية المقدسة أمّ جميع الكنائس ومعلمتهنّ ، والخضوع التام للحبر الروماني الاعظم رئيس الكنيسة العام ونائب سيدنا يسوع المسيح في الارض وخليفة بطرس رئيس الرسل. »[١]

ونقرأ تعلّقه بالكرسي الرسولي مفصلاً في منشوره العاشر الذي اذاعه على الطائفة المارونية في ٢٢ ايار ١٩٠٨ بعنوان : « تعلّق الطائفة المارونية بالكرسي الرسولي » ، فقد قال في مستهلّ ذاك المنشور النفيس :

« قضية قد اشتهرت عند العام والخاص شدّة تمسّك شعبنا الماروني بايمان القديس بطرس ودوام تعلّقه بطاعة الكرسي الروماني . وهذه القضية تكاد تساوي بصدقها التاريخي صوابية المسلّمات »

ثم سرد تاريخ الطائفة في هذا التعلق الشريف سرداً موجزاً بليغاً ، وتغنّى بالمدائح التي كان احبار رومية يمدحون بها طائفته لاجل ثباتها في الايمان عصراً بعد عصر ، مما لم يمدحوا به شعباً آخر من شعوب الكنيسة الكاثوليكية ، واتبع ذلك بالتعليم الاعتقادي الواجب الاتباع في هذا التعلّق ، مفصلاً ذلك تفصيلاً لاهوتياً وقانونياً دقيقاً موردا القواعد العملية التي ينبغي التقيد بها في حياة كل ماروني بل في حياة كل كاثوليكي . وينهي تعليمه بالعبارات الآتية :

« فبعد هذا الايضاح ، ايها الابناء الاعزاء ، ألا يحق علينا ان نحكم بوجوب المديح

١) راجع مجموعة مناشير البطريرك اللبناني المعروفة باسم « الذخائر السنية » المطبوعة في مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ١٩٣١ ، ص ١٤

والاطراء على اجدادنا لاجل تمسكهم الشديد بالكنيسة الرومانية ام جميع الكنائس ؟ ألا يجب علينا ان نؤدي فروض الشكر على تمسكهم هذا الجيل المبارك لكي يحفظوا لنا الميراث المقدس اعني به وديعة الايمان سالمة ؟ وبالاحرى الا ينبغي علينا ان نقتفي آثارهم ونحافظ على ايماننا وخضوعنا للكرسي الرسولي المقدس ولو كلفنا ذلك سفك الدم ؟ الا تعلمون ايها الابناء الاعزاء ان فخر طائفتنا وقداسة قديسيها وشهرة جهابذتها ومطرانيها كل ذلك مصدره المحافظة على الايمان القويم والتمسك الشديد بطاعة الحبر الاعظم ؟ نعم ان حياة طائفتنا الروحية وقوامها يتعلقان بهذا الامر. »(١

فتعلق البطريرك اللبناني بالكرسي الرسولي كان يظهر في كل اعماله وفي جميع اقواله . وكان يراجع غالباً الكلمة المأثورة في الطائفة المارونية ، وهي : « ايماني ايمان بطرس وايمان بطرس ايماني . » ومن راجع جميع مناشير البطريرك اللبناني يرى بأمّ العين مفصلاً ما لا قبل لنا باثباته في هذه اللمحة ، ويتحقق ان من اسرار عظمة ذلك البطريرك امام الله والناس تعلّقه القلبي الصادق بالكرسي الروماني . حسبنا ان نشير اشارةً الى احد مناشيره الاخيرة المعنون « محبة الكنيسة » الذي اذاعه في ٥ ك ١ سنة ١٩٢٩ ، وهو يُعدُّ مع المنشور الذي تلاه بمثابة وصيته الاخيرة ؛ ان كل كلمة وردت في هذا المنشور لحرية بالتأمل والاعتبار جديرة بالحفظ للعمل بها . ما استطاع البطريرك اللبناني ان يمثل عواطفه ويخلّدها لابنائه بأفضل مما فعل باذاعته ذلك المنشور النفيس الخالد . واني احيل القارئ الى مطالعته في « الذخائر السنيّة » فقد اثبت من صفحة ٧٦٠ حتى صفحة ٧٩٠ ولكن لا بدَّ لي من ان استعير منه مستهلّه ، قال:

« ان اشهر شيء لدينا نستهل به رسالتنا اليكم في هذا العام اسداء الشكر للعزّة الالهية على نعمها المتواصلة علينا فانها رمقتنا بعنايتها الخاصة من المهد حتى الساعة ومدّت بأجلنا فتوالى في ايامنا على كرسي القديس بطرس خمسة من الاحبار الرومانيين العظام اغدقوا على طائفتنا باحساناتهم ووجّهوا اليها عنايتهم الخاصة . وقد اسعدنا الحظ بان عرفنا منهم اربعة معرفة شخصية : فيوس التاسع المشهور بقداسة سيرته وصبره على المحن وجمعه بين الحزم والدعة قد تلقّينا في حماه دروسنا اللاهوتية في مدرسة نشر الايمان (١٨٦٦ – ١٨٧٠) ، ولاوون الثالث عشر العظيم قد مثلنا اكثر من مرّة بحضرته . فخصنا بعطفه المشهور وغمرنا بجميله الشامل اذ بذل ما بذله عن سخاء نادر ونبالة مقصد في سبيل تجديد مدرستنا المارونية في عاصمة الكثلكة . وباراه في محبته لنا بيوس العاشر لدن زرنا الاعتاب الرسولية بذاتنا سنة ١٩٠٥ . ولا ننسى

١) راجع هذا المنشور النفيس في « الذخائر السنيّة » من ص ٢٦٣ الى ص ٣١٢

بنديكتوس الخامس عشر فانه كان من اكبر المعزّين لنا في ضيقاتنا ايام الحرب الكونية ومن الممهدين لنا السبيل في نيل استقلال لبنان لدن زرناه سنة ١٩١٩ . اما قداسة ابينا البابا پيوس الحادي عشر المالك سعيداً ، نادرة العصر في فضائله ومكارمه ، فحالت الشيخوخة دون نيلنا ما كنا نتمناه من الشخوص اليه بذاتنا لتهنئته بيوبيله الذهبي الكهنوتي وعهد السلم الروماني ولنطرح امام قداسته واجب تعلقنا البنوي وخضوعنا الديني واخلاصنا التام وانقيادنا المطلق لاوامر خلف بطرس الرسول وتعاليمه مكرّمين بشخصه نائب المسيح نفسه ، فأوفدنا من قبلنا وفداً قام نيابة عنا بهذا الواجب فقابله الاب الاقدس في ١٠ ايار سنة ١٩٢٩ مقابلة اب حنون لابنائه الاخصاء . وكلّف الوفد بان يحمل الينا بركته ومحبته الابوية وعطفه الخاص على طائفتنا .»

ثم ختم رسالته الابوية الطافحة بمحبة الكنيسة والطائفة وبالتعليم الصحيح ومعرفة الجميل ، بالعبارات النفيسة التالية :

« ان ما بسطناه لكم ، ايها الابناء الاعزاء ، في شأن محبة الكنيسة امرٌ قد اشتهرت به طائفتنا لدى العام والخاص . وهذه الحلّة تفاخر بها . وقد قرّظنا الاحبار الاعظمون عليها تقاريظ بديعة في رسائلهم العديدة الى اسلافنا البطاركة، وما اوردناه اوردناه من باب التذكير والحضّ . فاننا لنخاف من انه كما اضلّت الحيّة حوّاء بمكرها ، هكذا تفسد ضمائركم من البساطة التي هي لكم بالمسيح. ونوجّه نداءنا خاصةً الى المتغربين منكم فتمسّكوا بما عندكم لئلا يؤخذ منكم اكليل فخركم . ولنا وثيق الامل بانكم تكونون اكليل فخر لنا يوم مجيء ربنا . نودّعكم الله ونودع كلامنا الابوي في قلوبكم النقيّة .»

ما احبّ البطريرك اللبناني رومية وتعلق بالكرسي الرسولي في اقواله فقط، بل كان تعلقه يتجلى عملياً بكل حركة من حركاته ، وفي كل عمل من اعماله الشخصية الفردية والعمومية . فقد كان يفتح قلبه لرومية موضحاً لها ما يخطر بباله اعتراضاً على كل تدبير اداري مما كان يظن انه لا يناسب لمصلحة النفوس ولا لخير الكنيسة ، شأنه في ذلك شأن الابن المخلص مع امه الحنون . وعند ما كانت رومية تصرّ على أمر كان يذعن لها اذعاناً بنوياً باخلاص وصدق وطاعة حقيقية بالقلب واللسان لا بالشفتين فقط . والذين عاشروه في بطريركيته وعرفوه في اسقفيته شهود على صدق ما اقول . وانا قد عرفت وخبرت ذلك منه بنفسي طيلة اثنتي عشرة سنة. وكان في المشاكل الصعبة المتعلقة بالكرسي الرسولي ينتهي بحلّ المعضلة بما يوافق خضوعه التام لرومية مستشهداً بالبطريرك بولس مسعد قائلاً: "هكذا كان يفعل او هكذا كان يقول البطريرك

بولس مسعد عند ما كنت امين سره ، او هكذا كان يروي لي البطريرك بولس نقلاً عن البطريرك الحبيشي ، وانا كما كان يفعل البطريرك بولس افعل ! »

من ادلّة حبه للكرسي الرسولي انه سعى عند ما كان اسقفاً فحقّق نية سلفه البطريرك يوحنا الحاج ، فجدّد مدرسة الطائفة المارونية في رومية باذلاً في ذلك السبيل جهوداً وتضحيات عظيمة سبقت الاشارة اليها . وما ذلك منه الّا لاعتقاده ان اكليروس الطائفة المارونية لن يستطيع ان يحافظ على وديعة الايمان الكاثوليكي التي اورثه اياها الجدود بدمائهم وتضحياتهم المنقطعة النظير الّا اذا استقى فريق منه التعليم الروماني في عاصمة الكثلكة نفسها على منهاج آبائنا القدماء . وقد ظلّ حتى وفاته مختصاً هذه المدرسة بعنايته الخاصة . وابتهج الابتهاج القلبي واغتبطت روحه فيه عندما تنازل الحبر الاعظم المالك سعيداً قداسة البابا بيوس الحادي عشر وأسند ادارة المدرسة ورئاستها الى الرهبانية اليسوعية الجليلة فقال : « الآن تغتبط روحي فيَّ واقدر ان ارقد بسلام الربّ مطمئن البال ، لان مدرستنا في رومية سُلِّمت الى الآباء اليسوعيين ، فلا شك ان ذلك من عناية الله بنا ورضاه على الطائفة . لان مدرستنا الرومانية القديمة التي اوجدت لنا اعظم رجال في الطائفة بالفضيلة والعلم واحرزت لنا بفضلهم افضل مجد في الدين والدنيا شرقاً وغرباً كانت بتسلم الرهبانية اليسوعية ، ووصلنا الى ما وصلنا اليه من التقدم والازدهار بقسط كبير من عناية هذه الرهبانية المباركة . » وقد ظلّ الى آخر رمق من حياته يطّلع بنفسه على حسابات مدرسة رومية ، وعلى جميع ما يتعلق بها من كلي وجزئي ، ويهتمّ بشؤونها .

والغريب في حياته انه عندما كان يأتيه البريد كان يلقي عليه نظرة عمومية فاذا لمح ان بين الرسائل واحدة عليها طابع بريد رومية عمد الى فضّها والاطلاع عليها قبل سواها ! حادثة صغيرة هي واشباهها تدلّ على عواطف النفس واخلاق صاحبها ، هي ميزة الاحترام لرومية كانت منطوية عليها نفسه الكبيرة فكانت تلك الميزة تتجلّى في جميع اعماله الكبيرة والصغيرة .

اكرامه لقاصد الكرسي الرسولي ولجميع رجال رومية ومرسليها

كل شيء يختفي او في استطاعة الانسان كتمه الّا المحبة فانها تفضح صاحبها . فحريٌ بالانسان ان يكون حبه مقدساً لتكون فضيحته لمجده وخيره . ان تعلّق البطريرك اللبناني بالكرسي الرسولي كان ينشره عفواً حبه لنيافة القاصد الرسولي واكرامه اياه ، بل الاعتبار الحقيقي الصادق الذي كان يبدو منه في كل فرصة ومكان نحو ممثل الحبر الاعظم ايّاً كان ونحو رجال الكنيسة الرومانية وخاصة نحو المرسلين الغربيين . فانه ما كان يأتي عملاً خطيراً في الشؤون الدينية او المدنية قبل ان يكون استشار ممثل البابا . وكان غالباً يعمل برأيه او يتّحد معه في العمل . وكان عارفاً ان المرسلين الغربيين هم الواسطة الفعّالة لنشر الدين الكاثوليكي في البلاد ولتثبيت الموارنة في عقائد اجدادهم الكاثوليكية وتنويرهم فيها تنويراً يدرأ عنهم مخاطر العصر الحاضر ومفاسده العديدة ، فساعد على انتشارهم فيما بين ابنائه . ففي ايامه أنشأت الرسالات الغربية للرهبان والراهبات الاديار الكثيرة والمدارس العديدة في المدن وفي الجبل ، وكثر اقبال الناشئة المارونية عليها . وكان يزور بعضها مراراً تنشيطاً لها بمثله وبكلامه في الثناء عليها وعلى اربابها .

وما ذكر قطّ في تاريخ الرسالات الغربية انها انتشرت في لبنان او في بلدٍ آخر كانتشارها في بلادنا على عهد البطريرك اللبناني . وكان جلّ طلبتها من الموارنة واكثر اساتذتها من الموارنة ، ولا يزال الأمر كذلك . وقد احبّ الرهبانية اليسوعية حبّاً خاصاً ليس لانه كان من تلاميذها القدماء . ولا لانها ذات الايادي البيض على الطائفة المارونية منذ نشأتها فحسب ، بل لانها مرتبطة بمحبة الحبر الاعظم وطاعته وخدمته بنذر خاص . وقد كان يتهلل عندما يرى في حضرته يسوعياً . وما انحدر مرةً الى بيروت في بطريركيته الّا خصّ كلية الآباء اليسوعيين بزيارة منه رسمية يحفّ به فيها جميع بطانته . وكان يفاخر امام الجميع انه ممن تخرّجوا على الآباء اليسوعيين في دروسه البدائية واللغوية والفلسفية .

كان يقرأ بذاته مجلة « المشرق » وجريدة « البشير » دائماً ، ولا يغفل منها حرفاً . وينشر مناشيره وأوامره في جريدة « البشير » كأنها لسان حاله الخاص . وما كان يقتحم امراً خطيراً الّا بعد ان يرسل فيستشير رئيس رسالة الآباء اليسوعيين. كان يُسرّ بالكاهن الذي كان يستخدم عند هؤلاء الآباء ويظهر له كل عطفه ، ويثني على ثباته في خدمتهم ويقول : «ان من يلتصق بهؤلاء الآباء يدلّ على انه شديد التعلّق برومية وبالسيد المسيح !»

اني اذكر ، ولا انسى ، اني ، لما كنت محرراً في جريدة « البشير » وكنت اتشرّف بزيارته مرةً ومرّتين في الاسبوع ، كان اول ما يبادرني به السؤال عن الاب كاتن ، والاب شانتور ، ويصرف وقته معي يسألني عن سائر الآباء ويثني على نهضة هذه الرسالة في الشرق ، مبيناً الخير الذي اجراه الله على ايدي ابنائها للطائفة المارونية وللشرق أجمع ويحرّضني على الاقتداء بهم وبثباتهم في عمل الخير .

ما كان يرتاح ضميره الى طبع كتابٍ الّا اذا كان قد اجازه او وافق عليه احد الآباء اليسوعيين . وكثيراً ما اذاع على الناس بكتابات علنية في فرص مختلفة، تقديره للرهبانية اليسوعية ولرجالها ولاعمالها ، وشكره اياها لما تبذله في سبيل الطائفة والشرق من الخير للنفوس وما تقدّمه من الخدم للآداب والعلوم الشرقية .

وفي الحرب الكونية عندما اضطُهد المرسلون وطُردوا من اديارهم وذُهب بهم الى المنفى اغتمّ قلب البطريرك واوصى اساقفته ورهبانه ووكلاءه باكرام البقية الباقية من اولئك المرسلين في البلاد . فأنزلوهم في اديارهم وعاملوهم معاملة آباء محسنين اليهم ورسلٍ قديسين فيما بينهم

مقابلة المحبة بالمحبة

قد قدّر الاحبار الاعاظم للبطريرك اللبناني تعلّقه بهم واخلاصه للكنيسة فأبدوا له من العطف والمساعدة له في جميع اعماله ما قرأناه مراراً في رسائلهم التي نُشرت على صفحات الجرائد والمجلات ، والتي صرّح بها البطريرك اللبناني ذاته باقواله وكتاباته . وما كانوا يردّون له طلباً . وعلى مثالهم سار القصّاد

والمرسلون. واني اذكر من ذلك امراً واحداً ، وهو انه عندما تقرر تطويب شهداء الآباء الفرنسيسكان الذين قتلوا في دمشق بغضاً بالدين سنة ١٨٦٠ ، طلب البطريرك اللبناني، في مجمع اساقفته، بناء على اشارة نيافة القاصد الرسولي، السيد فريديانو جيانيني ، والسماس المثلث الرحمة المطران بشاره الشمالي مطران دمشق ، من قداسة الحبر الاعظم ان يتنازل ويدمج بسلطانه الرسولي في سلك اولئك الشهداء الموارنة المسابكيين الثلاثة الذين استشهدوا في دير الآباء الفرنسيسكان نفسه في دمشق ، وامتزج دمهم بدماء الآباء الفرنسيسكان انفسهم . فما كان من نيافة القاصد الرسولي الا ان بادر ايضاً وأيد الطلب بكل قواه ، وقد قدم ذلك الالتماس في ٤ ايار سنة ١٩٢٦ ، فما عتم قداسة البابا ان تنازل واستجاب الاستغاثة برقياً بتاريخ ١٦ ايار نفسه سنة ١٩٢٦ ، معتمداً على وسائل غير اعتيادية. وفي ٧ ت١ سنة ١٩٢٦ تُليت براءة التطويب في كنيسة القديس بطرس الملوكية في رومية بحفلة من تلك الحفلات البابوية البالغة منتهى الجمال والرونق والعظمة والخشوع. وهكذا أُحصي الشهداء الموارنة المسابكيون فرنسيس، وعبد المعطي ، ورافائيل ، في عداد الطوباويين مع من كان قد مضى على السعي لاجل تطويبهم نحو ست وستين سنة ! [1]

وهل من يجهل المساعي التي بذلها نيافة القاصد الرسولي الموما اليه ابان الحرب الكونية ، فانقذ البطريرك اللبناني من المنفى الذي كان قد اعده له الطاغية جمال باشا ، فتوفق الى انقاذه بهمة قاصد البابا في الاستانة ، السيد دولثي ، وبنفوذ عظمة البابا بنديكتوس الخامس عشر السعيد الذكر ؟

اجل ان المحبة تُقابل بالمحبة . وقد اشار البطريرك اللبناني نفسه الى هذه المنة مراراً في احاديثه وخطبه وكتاباته، وخاصة في منشوره: « محبة الكنيسة » الذي سبقت الاشارة اليه اذ قال عن البابا بنديكتوس الخامس عشر : « انه كان من اكبر المعزين لنا في ضيقاتنا ايام الحرب الكونية » ثم قال عنه :

---

١) راجع « الاخوة الشهداء الثلاثة » بقلم المطران بشاره الشمالي، مطران دمشق ، المطبوع سنة ١٩٢٦ في المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

« انه كان من اكبر الممهدين لنا السبيل في نيل استقلال لبنان لدن زرناه سنة ١٩١٩ ».

ولم يكن نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني اقل غيرة من الحبر الاعظم في مناصرة البطريرك اللبناني لنيل استقلال لبنان . وكل يعلم المساعي التي بذلها حبيب لبنان وشيبته، بل حبيب الشبيبة الشرقية وجميع ابناء المشرق، المحسن اليهم المأسوف على فضائله واخلاقه الكبيرة السامية معدن الرقة واللطف الاب لوسيان كاتن اليسوعي ، والاب شانتور ، في هذا السبيل مؤازرةً للبطريرك اللبناني وتحقيقاً لنياته.

لم يُذكر للطائفة المارونية عصر ازدهرت فيه الرسالات الغربية الكاثوليكية وترقّت الناشئة اللبنانية ، ولاسيا الناشئة المارونية في الدين والاداب ، وكان فيه الاتفاق بينها وبين البطريرك الماروني واساقفته ورهبانه وشعبه سائداً كعصر البطريرك اللبناني فعلى الرغم من الحرب الكونية، ومن المجاعة اللبنانية، ومن الانقلابات السياسية التي حدثت في ايامه ، كان عصره في داخلية الطائفة عصر سلام وطمأنينة وازدهار . وعندما كان يزوره المرسلون مع تلامذتهم في آخر ايامه كان يشعر بتعزية كبيرة ويتهلّل بروحه وتترورق عيناه بدموع الفرح والتعزية وتبدو على اساريره ملامح سرور قلبه ، ويتسع في وجهه ضياء البهجة ويُسمع مكرّرًا : « نشكر الله . نشكر الله ! »

فاذا كان الموارنة خصوصاً واللبنانيون عموماً قد بكوا البطريرك اللبناني بدموع سخينة متأسفين على عصره وفضائله ، فان المرسلين لم يكونوا اقل حسرةً عليه وتأسفاً من اللبنانيين عمومهم ومن الموارنة انفسهم ، لان الرجال يقدّرون الرجال !

فتبارك الله ، ان موقف البطريرك اللبناني من الكرسي الرسولي كان مجيدًا شريفاً كجميع مواقفه . ولا غرو فقد كان يحب رومية لان الله اقامها أمًا لجميع الكنائس ومعلمة معصومة . ومن احبَّ الله بكل قواه من مهده الى لحده بمعرفة راسخة ما كان يستطيع الا ان يحب كنيسته تعالى بكل ما فيه من حياة وشعور وقول وعمل !

جولة في المجلات

المبكى او البراق – « القلم حاجية »

المبكى او البراق

مختصراً عن مجلة العالم الاسلامي *The Moslem World* ، اوكتوبر ، ص ٣٢١ بتوقيع شارلس ماتيوس (C. Matthews)

المبكى او البراق ! جوهرة نادرة الوجود ، تنعكس فيها العواطف الدينية بين تحمّس في سبيل الماضي، ماضي البطولة والمستقبل، مستقبل الامل والحياة، وبين تعصب ذميم وجهل عميم . اتدري مـا هو حائط بلاد الصين وشهرته ! فاعـلم ان المبكى ، او حائط الدموع ، صار في اعين الدول اهم من حائط الصين . هنـاك وقف مسلمو فلسطين ، ومن ورائهم مسلمو الشرق الادنى بالمرصاد لليهود . وما ان احتكّ قوم بقوم ، حتى طارت بينهم شرارة ادّت الى سفك الدماء سنة ١٩٢٩ ؛ ولم تنطفئ الشرارة بعد . حتى ان دولة من عظيمات دول التاريخ اضطرت الى التدخل في الامر فشكّلت لجنةً مهيبةً شأنها البحث في القضية عسى ان تصل الى توفيق بين الخصوم.

الا يزول الخـلاف اذا تبيّن للمسلمين ان البراق ليس في الموضع الـذي يبكي عنده اليهود ، ولكن في موضع آخر ! وذلك باعتبار التعليمات الصادرة من صميم تواريخ الاسلام والادلة الاثرية.

ومهما يكن من امر الدواعي التي يتشبّث بها كلا الفريقـين من يهود ومسلمين ليكافحوا في سبيل نظريتهم في امر البراق ، فليس من شان كاتب

هذه المقالة ان يتحزّب الى فريق على خصمه ، وما غايته الا البحث عن موقع البراق ، مسترشداً باقوال المؤرخين والعلماء ، من تقبوا على آثار الهيكل ، واهتدوا الى وضع رسومه ، وتعيين اسماء ابوابه ، وفهم ما قاله فيه المؤرخون والمحدثون المسلمون.

ليس المقام للاسهاب في حكاية الاسراء وكيف مضى ، كما يقولون ، الملاك جبرائيل بمحمد ، على « البراق » ، وطار به الى ان زوّره بيت المقدس ، حيث ربط محمد الدابة على الباب وقام بواجب العبادات ، كسائر الانبياء الذين سبقوه الى ذلك المكان ، وعاد في الليلة ذاتها الى مكة . ان تلك القصة صار البعض ، حتى من المسلمين ، يعتبرونها اسطورة واولوا لفظة « الاسراء » بمعنى خروج محمد ليلاً من مكة لاحدى غاراته او هجرته الى المدينة سنة ٦٢٢ .

على ان الجمهور سخط على من قالوا ذلك القول ، والاعتقاد العام لا يزال سائداً ان حائط البراق هو مربط الحيوان الذي حمل النبي العربي من مكة الى فلسطين . فان كان ولا بدَّ من ان يكون الامر كذلك فاين مربط البراق ؟

ذكر المؤلف يوسيفوس ان للهيكل الذي بناه هيرودوس مداخل : من الجانب الغربي الجنوبي ومن الجانب الجنوبي . ومن الامر المعجب ان اورشليم ، بالرغم عما حلَّ فيها من النكبات والحروب والزلازل على مدى الزمان منذ ايام هيرودوس الى عهدنا هذا ، لم تفقد اثر ابواب الهيكل القديمة فاذا اتيت الهيكل من الجانب الجنوبي الغربي رأيت ثلاثة ابواب : الشمالي منها موقعه في منتصف الحائط الغربي واسمه باب السلسلة ، والجنوبي موقعه بالقرب من زاوية البيت الجنوبية بغرب ، ولم يبقَ منه الا اثر انما هي نافذة واسعة ، غير بعيدة عن مأذنة الحرم الشريف ، وما بين البابين يوجد الباب الثالث وهو الذي يهمنا امره في الساعة الحاضرة ، وقد كان تحت الباب المسمى اليوم باب المغاربة ، وهو في الغالب ، ثاني الابواب التي ذكرها يوسيفوس كونها واقعة في ظواهر المدينة ، وكان ذلك الباب في مستوى من الارض اسفل من مستوى البابين الثانيين فاهمل استعماله بعد ان رممت الارض ورُفع مستواها ، ومن ثم سد

تماماً وأدغم في حائط الحرم الشريف . ذلك الباب المتوارى عن العيون اكتشفه الاميركاني بركلي ، وحوله تدور ، حالاً ، تطلبات المسلمين وهم يسمونه باب النبي او باب البراق ويحرصون عليه اشد الحرص . وقد وضعوا عليه حجرة ضخمة وقالوا ان هناك نزل محمد عن البراق وربطه . وفي داخل الحائط جامع صغير يسمى جامع البراق ، وهناك في احدى عوارض المدخل حلقة حديد لا يراها الا القليلون من المختارين ، ويقولون ان البراق ربط هناك . وقد قدسوا الحائط ثم الحائط الشمالي المجاور للمكان ، وعنده المضيق الذي يُسمح فيه لليهود ان يقيموا واجبات العبادة منذ السنين التي تلت خراب اورشليم على عهد الرومان سنة ٧٠ للمسيح.

على ان ذلك الباب ليس هو البراق الحقيقي واليك الدليل على صحة كلامنا. ان في الجانب الجنوبي للهيكل ثلاثة ابواب ، وقد غاب اثر احدها تحت بناية المسجد الاقصى وهذا الباب المتواري عن العيون ، لا غيره انما هو في اعتبار المؤرخين العرب باب البراق الحقيقي.

قال ابن الفقيه ان موضع مربط الدابة كان في زاوية المأذنة الجنوبية . وقال ابن عبد ربه انه تحت زاوية المسجد . وقد يذكر المقدسي باب النبي ولكن بعبارة دالة على ان البراق في نظره هو الباب الذي ذكرنا موقعه في الجنوب البائد اثره منذ بني المسجد الاقصى . اما قول ناصرى خسرو المؤرخ الفارسي فهو الفصل في القضية قال: وهناك الباب الموجه الى القبلة ، الى مكة ، وهو باب النبي لانه على طريق من يأتي من مكة ، دخله النبي ليلة الاسراء . وعلى هذه الاقوال يعتمد المؤرخون والاثريون في قولهم ان ما يسميه المسلمون الحاليون البراق ليس هو في الموضع القائم الخلاف عليه حالاً في فلسطين ، ولكن في غيره ، وهو الباب الجنوبي المحجوب ، اما العادة التي ادت الى تسمية باب المغاربة الحالي باب النبي فقد دخلت تدريجاً عندما توارى الباب الاول بعد بناية المسجد الاقصى.

« القلم حاجية »

جاء في « العرفان » المجلد ٣٢ الجزء ٢ ، ص ٢١٤ ، موقعاً باسم السيد عبد الرزاق الحسني من النجف :

« البندنيجين » قصبة من القصبات العراقية المعروفة ان في الماضي وان في الحاضر وهي تسمّى اليوم « مندلي » ومنها البرتقال المشهور « برتقال مندلي » وقد كانت منبت رجال الفضل والادب في ايام العباسيين . اما الان فهي مشهورة بكثرة النخيل والفواكه وتبعد عن بغداد زهاء ٩٠ ميلاً واهلها من العرب الذين تغلبت عليهم العجمة فانقلبوا يتكلمون بها ورطانتهم مزيج من اربع لغات هي العربية والتركية والكردية والفارسية بحيث ان العربي الفصيح اذا حلّ فيها ليشعر بنفسه كأنه في العصبة الامية .

وفي هذه القصبة وفي قرية مجاورة لها تسمى « دوشيخ[1] » طائفة خرجت من الاسلام مؤخراً كما خرجت منه طوائف كثيرة مختلفة في سورية وفي العراق واعني بهذه الطائفة « القلم حاجية » نسبة الى « قلم حاج » و « قلم حاج » هذه اسم المحلة التي يسكنونها من محلات البندنيجين « اي مندلي » ويظن ان اسم المحلة محرّف عن قلعة مير حاج « اي قلعة الامير الحاج » وهو الاسم الذي تسمى به هذه المحلة احياناً الى الان .

يبلغ عدد نفوس هذه الطائفة في القصبة المذكورة وفي القرية المجاورة لها ٢٣٨٥ نسمة عداً يسكنون في ٢١٢ بيتاً وهم كثيرو التقية شديدو الحرص على كتمان معتقدهم . والذي عندي انهم قسم من « العلي - اللاهية » المشهورين في فارس وسورية والعراق . وقد غالت هذه الطائفة في محبة امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام غلواً عظيماً حتى نسبت اليه جميع المعجزات واعتقدت بحلول روح الله تعالى في جسد علي (ع) فضلت السبيل وخرجت بذلك من الاسلام .

---

١) تبعد قرية « دوشيخ » عن مندلي ١٠ اميال بقرب قرية قزانية .

ليس للقلم حاجية صلاة معينة يقيمونها في اوقات مقررة اسوة ببقية اصحاب الاديان المختلفة وليست لهم مساجد للصلاة لانهم يقولون بان علياً هو الذي يصلي بالنيابة عنهم ، ولهذا فانهم يكتفون بصلاته. وهم يصومون ثلاثة ايام من شهر كانون الاول من كل سنة معتقدين بان حكم الصيام الوارد ذكره في القرآن الكريم نزل باللغة الكردية فهو « سه روز » اي ثلاثة ايام كما فهموه لا « سي روز » اي ثلاثون يوماً كما فهمه المسلمون ، كما انهم يؤمنون باليوم الاخر ويختنون اطفالهم كالمسلمين ويتجنبون النجاسات التي يتجنبها المسلمون اي انهم يستحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويستنجسون البول والغائط وسائر الاشياء النجسة ويقرأون القرآن ككتاب مقدس لهم متعوذين بالشيطان (!) تعوّذ المسلمين.

ويتهم المندلاويون افراد هذه الطائفة بوجود ليلة الكفشة عندهم، اي انهم يستحلون في احدى ليالي السنة الفجور والزنى وانواع الموبقات ، والذي احتمله ان هذا افتراء يراد به الحط من كرامتهم او استحلال دمهم لانهم مختلطين (كذا !) باهالي مندلي اختلاطاً كلياً، ولا يوجد في مندلي ولا في بقية الاوساط العراقية من يستبيح مثل هذه المنكرات ليأخذ هؤلاء عنهم هذه العادة.

وللقلم حاجية تكية ومزار يقعان في محلتهم . اما التكية فمجردة من كل شي. والظاهر انها محل للاجتماع الديني فقط ، واما المزار فقبر مدفون فيه احد شيوخهم العظام المدعو « الشيخ بابا طاهر » وقد دخلته فلم اجد فيه كتابة يُفهم منها معنى . وفيهم وجوه مقدمون عند الحكومة وعند الاهلين اضراب حسين مسلم ومحمد مختار بابا رضا وغيرهم ، وقد مات في الاونة الاخيرة . وهم يقبرون موتاهم على نحو ما يقبر المسلمون موتاهم ، الا انهم يفضلون القبور الدوارس ولعلهم يأخذون هذا المعنى من الحديث الشريف « خير القبور الدوارس ».

ويقصد هذه الطائفة في كل ثلاث سنوات مرة رجل من كركوك يدعى « محمود هجري » فيحل لهم معضلاتهم الدينية وقضاياهم الدنيوية وينعمون عليه بمال وعطاء . ومحمود هجري هذا عالم من علماء الكاكائية ، والكاكائية

فرع من العلي اللاهية، كما ان القلم حاجية فرع منها.

ويأخذ القلم حاجيون بنظريتي الطلاق وتعدد الزوجات وهم لا يحفون شواربهم مطلقاً ، اما لحاهم فهي عرضة للموسى في كل حين وابغض الناس اليهم الشيعة الإمامية اما ابناء السنة فيخالطونهم مخالطة تامة ولكنهم لا يناكحونهم ، والغريب ان افراد هذه الطائفة كثيراً ما يشتركون مع الشيعيين في اقامة مأتم سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) في ايام المحرم ، ومع هذا فانهم لا يأكلون اكلهم ولا يشربون شربهم ، وقد بدأوا يرسلون اولادهم الى المدارس في الآونة الاخيرة فاذا استمر ابناؤهم على ارتشاف مناهل العلم العذبة والاغتراف من حياضها المترعة ، فسوف لا ينتهي القرن الرابع عشر للهجرة الا وينقرض هؤلاء من سفر الوجود ، شأن الطوائف التي لا تستند على دياناتها الى آداب دينية يقرها العقل ويقبل بها المنطق.

نُسر برواية المقال ونتمنى للرصيفة الكريمة ان تأتي كثيراً بما يفيدنا اخذه عنها ، فنذكر لها الفضل . وكنا نود ان نروي التعليقات التي وضعها المؤلف على ما يُنسب من المستكرات الى بعض المذاهب لولا حراجة الموضوع ، ورغبتنا بان نتحاشى عن كل ما يمكن ان يمس العاطفة الدينية مما لا ينتج الخير عنه . اما التنويه بما قاله ياقوت عن الدير فنسأل صاحب المقال ان يستفتي في شأنه كريمته او احدى فتيات المسلمين الدارسات في معاهد الراهبات ، المطلّعات ليل نهار على حياتهن فيخبرنه كيف يعيش ملائكة الله على الارض ، او فليسأل احد اخواننا المسلمين الذين قضوا اياماً واسابيع للتطبب في احد مستشفياتنا وشهدوا عن كثب اعمال الراهبات فيخبروه عما رأوه من روح التفاني والتجرد عن اطايب الحياة وملذاتها التي انجلت لهم مظاهرها بأبهى مجاليها فحببت اليهم البتولية المسيحية واخذت بمجامع قلوبهم.

ف . ت .

مكتبة الاسكوريال. مضيفاً اليها ترجمةً اسبانية وترجمتين لاتينيتين من القرون الوسطى . وهو عمل دقيق يظهر بمظهر حسن الا في ما خصّ النصّ العربي المطبوع بحرف بعيد عن الجمال والوضوح،ولا ندري لماذا لا يستبدلون به الحرف العربي الواضح . ه. ل.

André Bellessort : La Société française sous Napoléon III. 1 *vol. in*-16 — *Librairie académique Perrin, Paris. Prix* : 15 *f*.

المجتمع الفرنسوي على عهد نابليون الثالث

لا يخفى ان الامبراطورية الفرنسية الثانية نشأت فجأة فحوّلت مجرى الحياة الوطنية بسرعة عجيبة فلم يشبه عهدُها عهد حكومة مضت في تاريخ فرنسة . وقد شاء المؤلف ان يحدّد هذه الصفات الخاصة والميزات التي لم تكن لتصف الشعب الفرنسوي لولا ظهور نابوليون الثالث . مما يجعل المطالع يشعر بتصفح حكاية احدى المغامرات الغريبة . ولا مبالغة في استعمال اللفظة فان في انقياد الشعب الفرنسوي للامبراطور المذكور ، وقد تعب من الحركات الثوروية وضجر من مواعيد الخطباء الخلابة ، لشيئاً من الاستسلام المطلق لمثل اسم عظيم تكتنفه حوادث واعمال تقرب من الاساطير . هذا وان في سرد عناوين فصول الكتاب لدليلًا على محتوياته المتنوعة . فان المؤلف يتكلم عن: الامبراطور ، الامبراطورة والبلاط ، رجال الامبراطورية ، المجد الحربي ، الاكليروس والحكومة ، تزيين باريس وحياتها ، المثال الخيالي الاعلى ، المسرح ، معارضة الاحرار ، الجمهورية ، الجمهورية على عهد الامبراطورية .

Emile Bréhier : Histoire de la philosophie. *t. II, vol.* 4, *in*-8°. *Prix* : 25 *f*. *Librairie Félix Alcan, Paris*, 1932.

تاريخ الفلسفة : الجزء الثاني : المجلد الرابع

هو المجلد الرابع والاخير من تاريخ الفلسفة يخصه المؤلف بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر ويصل فيه الى السنة ١٩٣٠ ، قاسماً هذا الزمن الى حقبتين : الاولى من ١٨٥٠ الى ١٨٩٠ ، اي الى بدء حياة برگسون الفلسفية ، وهو يمثل ، في زعم المؤلف ، بدء نهضة جديدة في الفلسفة . والحقبة الثانية من ١٨٩٠ الى ١٩٣٠ ؛ مستعرضاً الافكار العامة والمذاهب الفلسفية المتباينة

والمتعاكسة والمتطاحنة احياناً الى ان تلاشي بعضها بعضاً في اضطراب شامل. حتى ان المطالع لينقبض تأثرًا اذ يطّلع على هـذه القوى من الجهود العقلية الجديرة بالنجاح تذهب سدًى في البحث والتفتيش عن حقيقة تخالها لا ترى ولا تمس ، بينا تكون هـذه الحقيقة موجودة الى جنبها تعلّمها الكنيسة ، منذ قرون ، بواسطة فلسفتها الكلامية . يمرّ هؤلاء الفلاسفة بالقرب من الحقيقة ولا يرونها اما جهلًا وقلة انتباه واما ترفعاً وازدراء .

امـا اسلوب الكتاب فصعب شاقّ نوعاً يتطلّب من المطالع ان يكون واقفاً على كثير من مبادئ الموضوع . ثم ان المؤلف نفسه يذكر في حاشية من الصفحة ٩٠٨ « انه من المستحيل ان يتمكن الانسان من كتابة تاريخ حقيقي للفكرة العصرية » فان المفكرين اقرب الينـا من ان نتمكن من الحكم عليهم . واذًا فيكتفي المؤلف في الحقبة من ١٨٥٠ الى ١٩٣٠ بتلخيص اهم الآراء راجياً من المطـالع ان يغض النظر عما في ذلك من النواقص . فيقوم بتبويب وتصنيف لا بتاريخ حقيقي ، وهو مـا يميز الكتاب الذي قد لا يفيد المبتدئين في هذا العلم . ج . ك .

Sacra Congregazione orientale — Statistica concenni storici della Gerarchia e dei Fideli di rito orientale. *in-12 de 576 pp. Prix: 18 Lire. Roma, Tipografia poliglotta vaticana.*

احصائيات خاصة بالطوائف الشرقية

هـذا عمل طالما شعرنا بالحاجة اليه ، فلا يسعنا اذًا الا تهنئة القائمين به كيف لا وهو يجمع في احصائيات دقيقة كل ما يُعرف عن حالة النصرانية في الشرق ، مبتدئاً بمعلومات عن المجمع الشرقي ، والقصادات الرسولية المتعلقة به ، ذاكرًا حالـة الاكليروس الشرقي الكاثوليكي ، موزّعـاً على الطقوس المختلفـة كالاسكندري ، والقبطي ، والحبشي ، والانطـاكي ، والارمني ، والبيزنطي او اليوناني ، والكلداني . وبعد ذلك تأتي المعلومات عن المؤسسات الدينية المختصة باحد الطقوس او المشتركة ، والارساليات اللاتينية في البلاد . ويختم المجلد باحصائيات خاصة بالكاثوليك الشرقيين في الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من الابرشيات اللاتينية . يلي ذلك فهارس عامة غاية في الاتقان .

واذا اضفنا الى ذلك صفة المؤسسة التي تصدر الكتاب من سعة الاطلاع، وثقة المصادر، قدرنا المؤلف حق قدره وادركنا انه لا يستغني عنه كل من اراد الوقوف على شيء في هذا الموضوع ، متمنين ان يجدد طبعه في كل سنة. ج. ل.

Islamica, 1932, *vol. V, fasc.* 4.

مجلة الاسلاميات : الجزء الرابع من المجلد الخامس

في هـذا الجزء شرح واسع دقيق على كتاب « الاضداد » لقطرب الذي كان قـد نُشر في الجزء الماضي . وان من يطالع هذا الشرح يتحقق انه لا يبقى كثير من تلك الاضداد التي شاء لغويو العرب ان يزيدوا عددها متنةً وكماً. ه ل.

تهذيب تاريخ ابن عساكر

للمرحوم عبد القادر بدران

وقف على طبعه احمد عبيد

الجزء السادس – المكتبة العربية في دمشق : ق ٨ ، ص ٤٨٠

بين السنة ١٣٢٩ و١٣٣٢ هـ — ١٩١١ و١٩١٣ م اظهر المهذب الاجزاء الخمسة الاولى من التاريخ الكبير لابن عساكر ، ثم انتقل الى رحمته تعالى بعد ان عهد بامر القيام في نشر مـا هذبه الى الشيخ ياسين الرواف ، معتمد حكومة نجد والحجاز في دمشق سابقاً . فتحركت همة عبيد اخوان ، اصحاب المكتبة العربية في دمشق ، الى مفاتحة الشيخ ياسين في امر مواصلة النشر . وعليه تم الاتفاق بينهم وبينه ، وشمّروا عن ساعد الجد واتحفونا بالجزء السادس من التـاريخ الكبير . فحسب مطبعتهم العامرة فخراً انها ابرزت للنور اثراً من الآثار العربيـة السورية الجليلة . والكتاب جدير بان تزدان به مكاتب المطالعين ، ولا غنى عنه للاختصاصيين من الدارسين . ليس المقـام لترجمة ابن عساكر ، ولا لتحليل كتابه ، وذلك لن يكون الا بعد ظهور العدد الاوفر من مجلداته الثمانين . وجلّ ما نتمناه في الساعة ، ان يواصل السادة عبيد اخوان جهودهم المحمودة في طبع ما نقحه المرحوم الشيخ عبد القادر.

قال الناشرون ص ٤٦٠ :

« ولقد كنا نظن حينما عزمنا على الطبع اننا نسير في جدد بيض لا نرى فيها عوجاً ولا امتاً ، فلا نحتاج في ذلك الى كبير عناء ، بل كنا نرى ان قصارانا معارضة المطبوع على المخطوطة ، وكان داعية هذا الظن كون النسخة بخط المهذّب ؛ ولكننا ما كدنا نشرع في العمل حتى الفينا انفسنا في بحر من التصحيف والتحريف ، وما زال نور من الله يمدنا حتى كشف عنا بعض تلك الظلمات وامكننا من اخراج هذا الجزء على بعض ما نريد ، ولا نقول على ما نريد . وكيف ندعي ذلك والاصل الذي اخذ عنه المهذب ورجعنا نحن اليه مشحون بالاغلاط ؟ »

اصلح الناشرون ما امكنهم اصلاحه من الاغلاط ولهم في ذلك الفضل . على ان مؤلفاً يعدّ ثمانين مجلداً لتنوء عن القيام بطبعه الطبع العلمي المطلوب جهود الافراد ولو كانوا من ذوي الهمم الشماء كالسادة عبيد اخوان ، نسبةً للنفقات الباهظة التي لا بدّ منها للتفتيش على كامل المخطوطات المتفرقة مجلداتها في مكاتب الشرق والغرب ، ولتصويرها والمقابلة بينها ، ونشرها . وقد يتاح للقراء مطالعة لانحتها في المعلمة الاسلامية للمستشرقين تحت عنوان « ابن عساكر » . فاذا تيسر الحصول عليها في اصلها فسوف يتمكن العلماء الناشرون من تصحيح ما يعسر قراءته تصحيحاً اوفى فلا يعود يشتبه امر المعنى في مواضع عديدة .

هذا وان في دمشق مجمعاً علمياً عربياً ، فاي عمل احقّ بكرامته وكرامة وزارة المعارف من ان يصير بين ممثلي العربية المعهود اليهم بترقية الاداب العربية في سورية وبين اصحاب المكتبة العربية الاتفاق على التضافر في نشر تاريخ ابن عساكر بكماله . هذا ما نتمناه لذلك الاثر الجليل قبل ان تذهب ايدي الضياع بما لا تعوّض خسارته من بعد . ف . ت .

مجلة الحقوق

المجلد السادس ٦٠٠+٥٦+٣٦+٢٢ ص متوسطة

اهدى الينا الاستاذ نجيب خلف المحامي المجلد السادس من مجلة « الحقوق » مشتملاً على عدة ابحاث حقوقية ، وقرارات وقوانين ومراسيم صادرة من المفوضية ،

ومن الحكومـة اللبنانية ، وحوادث واحكام قضائية متنوّعة ، مما لا يمكن ان يستغني عنـه قاضٍ ولا محامٍ ، رتّبها منشئ المجلة واردفها بفهرس هجائي عامّ فزاد في فائدتها . وقد الحق المجلد بقسم من تعريب كتاب « الجنائيات في سورية » للاستاذ فؤاد بك عمون . فنشكر للمهدي هذه المجموعة النفيسة .

ف . ا . ب .

الحضرة الانسية في الرحلة القدسية

الحرم الشريف

تأليف عبد الغني النابلسي

طبع على حجر بمطبعة كارل شتوكيكت في مدينة صالفالد (على نهر صاله)
اخذًا عن تركة ريمون جراب

عاش عبد الغني في ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر وبلغ التسعين عاماً ونيف . اشتهر بمؤلفاته العديدة منها اوصاف الرحلات التي قام بها بين دمشق والقدس . وهذا الكتاب جزء منها ، وهو مختص بوصف الحرم الشريف فيـه تسعة وثـلاثون باباً دخل منها المؤلف الى الكلام عن المسجد الشهير فوصفه باسهاب وذكر طرق الصلاة فيـه وتوسع بالاطراء بمحاسن الصخرة . فقال فيها الاقوال المستغربة الشائعة عنـد عامة المسلمين . وآخذ ابن التيمية وغيره من العلماء الذين لا يصدقون صحة الاخبار الخارقة المروية عن الصخرة مثل وقوعها في الفضاء بين السماء والارض وصحة اثر قدم النبي فيها ، وموضع ربط البراق في الحـائط ، وسائر ما تحب العامة ان تراه عند زياراتها الآثار الدينية الخ . . .

وقال : «وانت تدري ان الشهرة كافية في ثبوت اثر القدم الشريف في صخرة بيت المقدس وغيرهـا اذ لا يقتضي ذلك ثبوت حكم شرعي من تحليل حرام او تحريم حلال حتى يتحرى العلماء في ذلك كمـال التحري ويطلبوا على ذلك الاسانيد الصحيحة ، وانما في ذلك ثبوت بركة وخـير وفضيلة وكمال خشوع وخضوع وحضور وتعظيم للنبي . لاسيما وقـد اشتهر ذلك بين العلماء المتقدمين

وذكروه في نظمهم ونثرهم بقصد الفضيلة وحصول البركة للناس ، فذلك ثابت بطريق التواتر لان القدم الشريف في الصخرة يخبر به جميع اهل بيت المسجد انه قدم النبي الخ »... (ص ٤٥)

كان من ذلك المخطوط نسخة في المكتبة الشرقية وصفها الاب شيخو في فهرسته في العدد ١٧٣ وكان قد ابتاعها في بيروت سنة ١٩٠٩ وهي بخط امين القديري نسخها عن نسخة المؤلف ذاتــه . على ان هذه النسخة فقدت ايام الحرب الكبرى . لذلك فرحنا لظهور هذه النبذة من الكتاب . عسى ان تسترد نسخته كلها ، من ايادي الضياع ، وتُطبع طبعاً كاملاً.

ف. ت.

كتاب اللاهوت النظري

تأليف البرديوط الياس الجميّل ملفان في الفلسفة واللاهوت

المجلد الاول ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٢ : ق ١٢ ، ص ٤٧٦

لم تمضِ السنوات على ظهور الطبعة الاولى من هذا الكتاب الجليل حتى نفدت نسخه والجأت المؤلف الى طبعه ثانية فاتى ذلك النجاح دليلاً على فضل المؤلف والقراء معاً لان رواج الكتاب في سوق الادب عنوان همة المطالعين وحسن ذوقهم في ارتيــاد العلم من مناهله الصحيحة وهو ايضاً اقرار بفضائل الكتاب وصاحبه . حسبنا تحية المجلد الاول اليوم ، عسى ان يتنى لنـا عن قريب وصف الكتاب كله بعد ظهور سائر اجزائه. ف. ت.

سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان

تأليف جرجي شاهين عطيَّة

الدرجة الثالثة : ٢٩٢ ص متوسطة صغيرة — الثمن : ١٠ فرنكات
الدرجة الرابعة : ٤٥٢ « « « « ١٣ فرنكاً
مكتبة صادر بيروت ، صندوق البريد عدد ١٠ — ١٩٣٢

تقدم لنا (ص ٣٧٨ و٧١٨ من مجلد هذه السنة) وصف الدرجتين الاولى والثانية من هذا الكتاب الجديد . وقد اثنينا اذ ذاك على المؤلف بما هو اهل له .

وها انه يتابع جهوده المثمرة فينشر الدرجتين الثالثة والرابعة في الصرف والنحو متصفاً بما عرف به من الوضوح وتوخي الفائدة ، زائداً في موادّ الموضوع ، متوسعاً في الشروح والتمارين العملية . اما قواعد البيان فسيعرض لها في الدرجة الخامسة ، وظهورها قريب ان شاء الله. ف.ا.ب.

الدرّة اليتيمة لابن المقفّع

عني بضبطها وتعليق حواشيها الاستاذ جرجي شاهين عطيّه

٨٣ ص. متوسطة – مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٢ – الثمن : ٧ فرنكات

وهذا الكرّاس ايضاً من آثار المؤلف المذكور ، نشر فيه « الدرّة اليتيمة » لابن المقفّع التي كان قد نشرها ، في طبعة ثانية ، سنة ١٨٩٧ ، الامير شكيب ارسلان ، فاعاد النظر فيها الاستاذ عطيّه وضبطها وعلّق على بعضها الحواشي ، موطّئاً لكل ذلك بنبذة مختصرة في حياة ابن المقفّع وآثاره . فسهل على الادباء الاستفادة من هذا السفر النفيس. ف.ا.ب.

المسرح الجديد

بقلم محمود كامل المحامي

٢٤٨ ص متوسطة – ادارة الهلال بمصر ، ١٩٣٢

هي هدية مجلة الهلال السنوية الى قرّائها ، جمعت ملخصات اشهر القصص المسرحية الجديدة التي ظهرت في الآداب الاوربية ولاسيما الفرنسوية . يرى فيها المطالع ان المسرح الجديد لا يهتمّ الاهتمام الكافي بالاداب والاخلاق ، ويلاحظ ان الكتاب خالٍ من فهرس يستفيد منه المراجعون.

* مطبعة المعارف ومكتبتها * اهدت الينا ادارة مطبعة المعارف ومكتبتها لصاحبها السيدين شفيق وادوار متري قائمة كتبها لسنة ١٩٣٢ – ١٩٣٣ فاذا هي سفر جميل الطبع ، حسن التبويب ، مزيّن برسوم المؤلفين الذين طبعت المطبعة من آثارهم ، محتوٍ على كثير من الكتب الادبية والعلمية والاجتماعية والتاريخية ، ومن الكتب المدرسية باللغات العربية والفرنسوية والانكليزية . والادارة تُرسل القائمة المذكورة لكل من يهمّه الاطلاع عليها ، والعنوان : ٧٠ شارع الفجّالة ، مصر.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايلول — ١٥ ت١ ١٩٣٢

رومة والشرق — توفي الكردينال فون روشم رئيس مجمع نشر الايمان.

سورية ولبنان — سافر السيد پونسو، المفوض السامي، من باريس في ١٢ تشرين الاول بقطار الشرق قاصداً استامبول فانكرة، فسورية.

* تأجل انعقاد مجلس النواب السوري الى ٢٥ تشرين الاول.

* وافقت القيادة العليا مبدئياً على نقل المدرسة الحربية من دمشق الى حمص.

* عُقد مؤتمر نسائي في دمشق غايته انهاض المرأة الشرقية.

فلسطين — زار الملك فيصل بيت المقدس وبعض انحاء فلسطين. وزار فلسطين كذلك الامير عبدالله.

* سافر المندوب السامي الى لندرة.

مصر — عاد رئيس الوزراء اسماعيل صدقي باشا من اوربة في ٢٧ ايلول.

* احتفل في ٣ تشرين الاول بعيد الجلوس الملكي.

* كذّب صدقي باشا الاشاعة التي ذاعت عن عزم الحكومة المصرية على ان تطلب دخول مصر جمعية الامم.

* مرّ ملك ايطالية في بور سعيد وقناة السويس في طريقه الى الاريتره.

* سارت من مصر بعثة انكليزية لارتياد مجاهل صحراء ليبية.

* توفي الشاعر الكبير احمد شوقي بك في ١٤ تشرين الاول.

العراق — قرّرت جمعية الامم قبول العراق عضواً فيها. وقد الغي الانتداب الانكليزي واستبدل به معاهدة بين انكلترة والعراق. فأُقيمت الاحتفالات في بغداد وقرّرت الحكومة اعتبار يوم ٦ تشرين الاول عيداً قومياً يدعى «عيد استقلال العراق».

المطبعة الكاثوليكية — المدير المسؤول : يوسف ماهر